الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات تطبيقية

الثنائيات الضدّية وتشكلات الحقول الدّلالية في قصيدة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور للإمام عبد العزيز الديريني

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبة:

– بوشيوان سعيدة

إشراف الأستاذ:

– حسين بوشنب

لجنة المناقشة:

1- أ/ عبد القادر تواتي	جامعة البويرة	رئيسا
2- أ / حسين بوشنب	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3- أ . ة/ حفيظة يحياوي	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021-2022

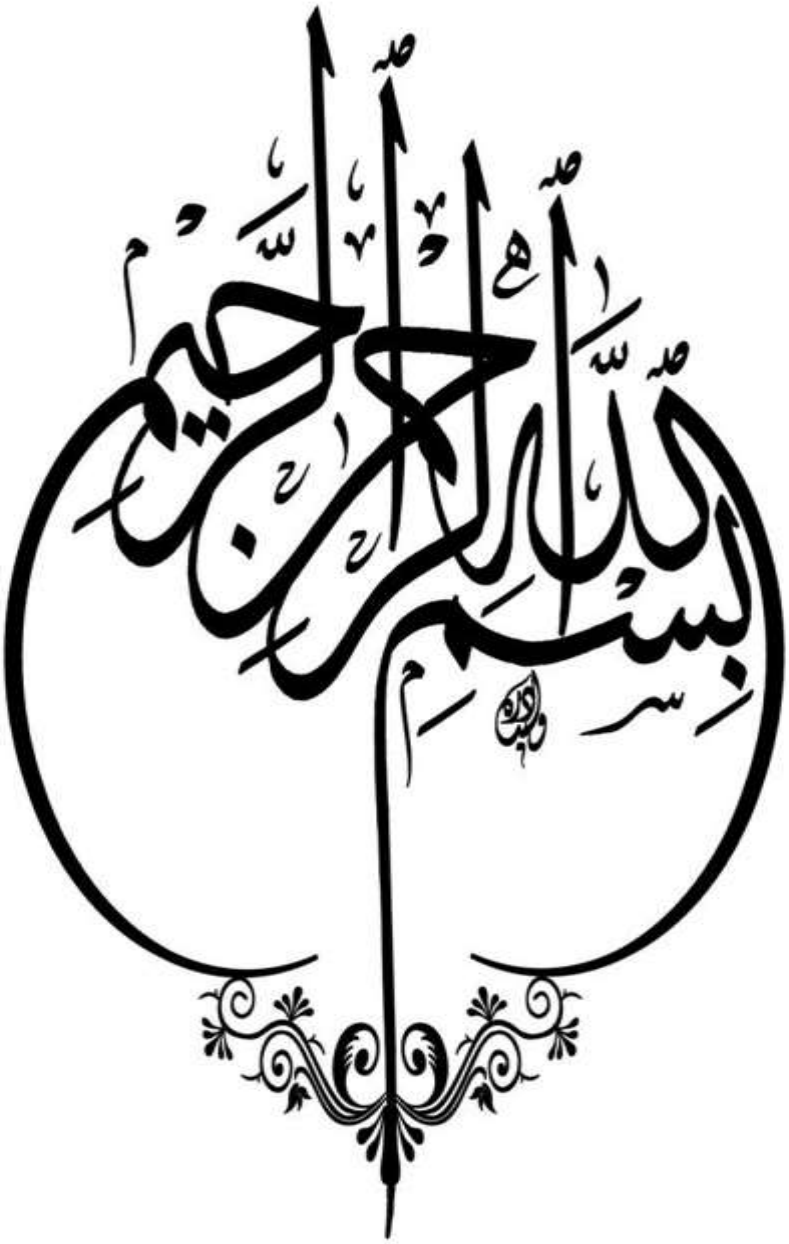
بسم الله الرحمن الرحيم

عرفان وامتنان

اللّهم لك الحمد كلّـــــــــــــــــه، ولك الشكر كلّـــــــــــــــــه،

وإليك يرجع الأمر كلّـــــــــــــــه سرّه وعلانيتـــــــــــــــه،

والصّـــــــــــــــلاة والسّـــــــــــــــلام على من لا نبيّ بعده

وعلى أصحابه وعلى كلٍّ من اقتفى هديـــــــــــه.

أتقدم بجزل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الفاضل: **حسين بوشنب** على كرم قبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى تفانيه في العمل لإتمامها وتقديمها في أحسن صورة، أدامه الله ذخرا للعلم، كما أتقدم بعظيم الشكر إلى اللجنة المناقشة الموقرة التي تجشمت عناء قراءة هذا العمل وتقييمه وعلى كل أساتذة كليتي.

إهداء

أهدي ثمرة عملي هذا:

إلى أمي حفظها الله ومدّ في عمرها....

إلى أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه...

إلـــــــــــــى أخواتي وإخوتي وكلّ عائلتي...

إلى كلّ من ساعدني وساندني وساهم في إتمام هذا الجهد المتواضع من

قريب أو بعيد.

مقدمة

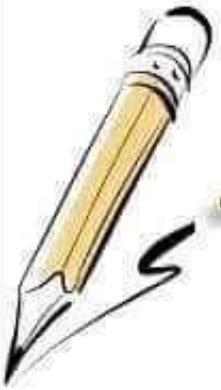

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت وبه أستعين، والصّلاة والسّلام على نبينا محمّد أشرف الخلق وخاتم المرسلين وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، أما بعد:

يسعى الباحثون في مجال البحث اللّغوي إلى تأسيس وإرساء منهج علمي دقيق للبحث الدلالي و وضع نظريات دلالية لدراسة " المعنى"، ومن بين النظريات التي ظهرت وكان لها دور كبير في درست العلاقة التلازمية بين المعاني: نظرية الثنائيات الضدّية التي تهدف للوصول إلى دلالة الألفاظ من خلال مقابلتها بأضدادها، بالإضافة إلى نظرية الحقول الدّلالية التي اختصت بدراسة المعنى بهدف جميع مفردات اللّغة وتحديد دلالاتها من خلال جمعها مع ما يقابلها دلاليا وفق علاقة تكامل أو تضاد أو اشتمال بغية تصنيفها تحت إطار عام يجمعهاــ إذ تمثل هاتين النظرتين لبّ هذا البحث المتواضع في محاولة مني لفكّ غمار هذا التلاقي بينهما في قصيدة "الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور" وسبب اختياري لهذا الموضوع لم يكن نتيجة الاطلاع فقط بل محاولة مني لإضافة لبنة أخرى في مجال البحث اللّغوي وهو الجمع بين نظريتين دلاليتين هما: نظرية الثنائيات الضدّية ونظرية الحقول الدّلالية وأثرهما في وضوح المعاني و إبراز الجمال الفني داخل القصيدة ولدراسة العلاقة التي تجمع بين نظرية الثنائيات الضدية ونظرية الحقول الدلالية تم إعداد هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية التالية:

ما مدى تعالق وترابط الثنائيات الضدية بالحقول الدلالية في قصيدة؟ وما دور الثنائيات الضدّية في تكوين الحقول الدّلالية في قصيدة "الّدر المنثور في ذكر البعث والنشور" ؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية عدد من التساؤلات فرعية نوجزها فيما يلي :

- كيف أسهم التضاد في بناء الثنائيات الضدية داخل القصيدة؟
- ما هي أبرز الحقول الدلالية الواردة في القصيدة؟

- ما مدى تأثير امتزاج هاتين النظريتين على الجمال الفني للقصيدة؟

وبالنسبة للمنهج المتبع في هذه الدراسة فقد وظفت منهجا متكاملا وهذا من خلال اعتماد المنهج الوصفي في تحديد ماهية النظريتين الدلاليتين(الثنائية الضدّية والحقول الدّلالية) وتحديد مبادئهما، كما استعنت بالمنهج التاريخي في تتبع جذور النظريتين مع تحديد ملابساتهما ومراحل تطورهما، أما المنهج التحليلي فقد وظفته في الدراسة التحليلية من خلال إسقاط تلك المفاهيم النظرية على القصيدة.

وعن بنائية البحث فقد جاء في مقدمة، وفصلين أولهما تضمن مبحثين خصص الأول لماهية الثنائية الضدّية بتحديد المفهوم اللّغوي والاصطلاحي وتتبع حضور الثنائية الضدّية في العلوم المختلفة، و المباحث النقدية على وجه الخصوص، أما المبحث الثاني فقد عرضت فيه مفهوم نظرية الحقول الدلالية وحضورها عند العرب والغرب وكذا أهم مبادئها. وثانيهما تضمن هو الآخر مبحثين الأول قدمت فيه تعريفا بالقصيدة وصاحبها والثاني عرض للثنائيات والحقول في القصيدة ثم التوقف عند علاقتها لأنهي العمل بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

وقد اعتمدت خلال هذه الدراسة على مصادر ومراجع عدّة أهمها:

- الثنائية الضدية بحث في المصطلح ودلالاته لسمر الديّوب.
- علم الدلالة لأحمد مختار عمر.
- علم الدلالة(علن المعنى) لمحمد علي الخولي.
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي لمنقور عبد الجليل.

من بين العراقيل التي حالت بيني وبين إتمام بحثي هي طبيعة الموضوع الذي عالج قضيتين في آن واحد فكل الدراسات السابقة تطرقت للنظريتين السابقتين وعالجتهما بصفة منفردة كل واحدة على حدة.

غير أنّ هذا لم يثني من إرادتي، ولم أدخر جهدا في معالجة هذا الموضوع و إعطائه حقه بالدراسة حسب ما رسمتُ من رؤى وتقديمه على هذا النحو المتواضع.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي به تتم الصالحات، وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر لكل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة وأخص بالذكر الأستاذ المشرف حسين بوشنب الذي كان لي خير معين وأفضل موجه.

الفصل الأول

التعريف بالثنائية الضدية ونظرية الحقول الدلالية

المبحث الأول: الّثنائيّة الضدّيّة

امتازت اللّغة العربية الفصحى بخصائص تفوقت بها عن اللّغات السامية الأخرى ومنحتها مكانة مرموقة، تمثلت في بلاغة الأسلوب وفصاحة المفردات وتّرادف المعاني، بالإضافة إلى خاصية التّضاد التي كان لها صدى كبيرا في الدّراسات الأدبية والنقدية الحديثة، فما نعني بالتضاد؟

أولا: مفهوم التضاد لغة واصطلاحا:

أ- لغةً:

وردت لفظة الضدّ في المعاجم اللغوية بمعاني متقاربة فقد جاء في معجم الصحاح أن « الضّدُ و(الضَّديدُ) واحدُ (الأضْدَادِ) وقد يكون (الضِّدُّ) جَمَاعةُ قال تعالى "ويكونونَ عليهم ضدّا" وقدْ (ضَادَّهُ مُضَادَّة) وهُمَا (مُتضَادَّانِ) ويُقالُ لاَ(ضِدَّ) لهُ ولاَ (ضَدِيدَ) لهُ أي لاَ نَظِيرَ لهُ ولاَ كُفءَ لهُ » [1] و يماثله ما جاء في القاموس المحيط« الضِّدُ، بالكَسرِ، والضِّديدُ: المِثلُ، والمُخَالِفُ ضِدّ وَيكُونُ جمعًا، ومِنهُ (ويكونون عليهم ضِدًّا) وضَدّهُ في الخُصُومَةِ: غَلَبَه، وعَنهُ: صَرَفَه، ومَنَعَهُ برِفق، والقِربَةَ مَلأها، وأضَدَّ: غَضِبَ. وضَادَّهُ: خَالفَهُ، وهمَا مُتضَادَّانِ... » [2] وأما في معجم الوسيط فالضدّان ما« كَانَ أحَدُهُمَا ضِدُّ الآخَر، الضِدُّ: المُخَالِفُ و المُنَافِي، و المِثْلُ و النّظِيرُ والكُفءُ، ويُقَالُ هذا اللّفظُ من الأضْدَادِ؛ من المُفردَاتِ الدّالةِ عَلى مَعْنَيَيْنِ مُتَبَاينَيْنِ، كالجَوْنِ للأَسْوَدِ والأَبْيَضِ، الضَّديْدُ: الضِّدُّ(ج) أَضْدَادٌ، والمُتَضَّادُ في المَنْطِقِ: اللذَانِ لاَ يَجْتَمِعَانِ، وقدْ

1-محمد بن أبي بكر الرازي؛ مختار الصحاح؛ مجلد1؛ مكتبة لبنان؛ بيروت؛ 1986م؛ ص159.

2-مجد الدين الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة؛ ط8؛ مؤسسة الرسالة؛ بيروت؛ 2005م؛ ص295.

يَرتفِعَانِ كَالأبْيَضِ والأَسوَد » [1] فالتضاد هو المخالفة والمنافاة نجده بين الألفاظ وبين المعاني على حدّ سواء.

ب-اصطلاحا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللّغوي فالسجستاني يعرفه بقوله:« الضدّ في كلام العرب خلاف الشيء، كما يقال: الإيمان ضد الكفر، والعقل ضد الحمق » [2] فالتّضاد علاقة تجمع بين معنيين متقابلين وبتقابلهما يكتملان ويظهر معنى كلٍ منهما لأنّ« التضاد رابطة مثل التماثل، والتناقض رابطة، لأنه يعني نفي النقيض، فوجود الحق ينفي وجود الباطل في علاقة تناقض، أما وجود الأبيض فيتضاد مع الأسود، فالعلاقة بينهما علاقة تضاد » [3] وللتضاد تسع أنواع جمعها الدكتور محمد الخولي هي« التّضاد الحاد كأن نقول: (ذكر، أنثى) والتّضاد العكسي كأن نقول: (باع، اشترى) والتّضاد المتدرج: نجده في ثنائية(صعب، سهل) فلكل منهما درجات، والتّضاد العمودي: مثل ثنائية (شمال، شرق) والتّضاد الامتدادي: نجده في ثنائية(شمال، جنوب) والتّضاد الجزئي: الذي يجسد علاقة الجزء بالكل(إصبع، يد) والتضاد الدائري: الذي يجمع بين المفردات المتعاقبة كأيام الأسبوع في شكل علاقة دائرية و التّضاد الرّتبي: الذيبه تتصاعد

1- إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيرهم؛ معجم الوسيط؛ ط5؛ مكتبة الشروق الدولية؛ القاهرة؛ 2011م؛ ص536.

2- الشريف الجرجاني؛ معجم التعريفات؛ تح: محمد باسل عيون السّود؛ ط2؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ 2003م؛ ص140.

3-سمر الدّيوب؛ الثنائيات الضدّية بحث في لمصطلح ودلالاته؛ ط1؛ المركز لإسلامي للدراسات الإستراتيجية؛ سوريا؛ 2017م؛ ص19. .

الكلمات وفق ترتيب هرمي، أما التّضاد الانتسابي: وهو أن تنتسب الكلمة إلى مجال أو نوع معين » [1] فالتضاد بصفة عامة هو علاقة تجمع بين لفظين أو معنيين متقابلان

ثانيا: مفهوم الثّنائيّات الضدّية لغة واصطلاحا:

أ- لغةً:

الثنائيات جمع ثنائية مشتقة من الفعل ثَني جذره الثلاثي(ث ن ي)« ثَني الشّيءَ رَدَّ بعضهُ على بعضٍ، فَتَثَنّى وانْثَنى واثْنونى: انعَطفَ...والاثنان: ضعف الواحِدِ، والمؤَنَّثُ: ثِنْتَانِ... » [2] وقيل« ثنى طَرْفه إليه: التَفَتَ-ثنى عطفهُ: تكَبّر وأعرضَ وثنى الثوبَ: طواه... » [3]. ولهذه اللفظة (الثنائية) مشتقات وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾[4] وفي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[5] وهي« ما كان أقل من المئتين، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني: لأنها تثنى في كل ركعة، وقيل: يسمى جمع القرآن مثاني أيضا؛ لأن الأنباء و القصص ثنيت فيه، وقيل: لاقتران آية الرحمة بآية العذاب»[6] من هذه التعريفات اللّغوية نخلص إلى أن الثنائية لفظ يدل على جعل الشيء شيئين.

1-محمد علي الخولي؛ علم الدلالة(علم المعنى)؛ طبعة 2001؛ دار الفلاح للنشر والتوزيع؛ عمان؛ 2001م؛ ص116-125.

2-مجد الدين الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1267.

3- احمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ المجلد الأول؛ ط1؛ عالم الكتب؛ القاهرة؛ 2008م؛ ص330.

4- سورة هود؛ الآية 05.

5- سورة الحجر؛ الآية 87.

6- إسماعيل ابن حماد الجوهري؛ الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية؛ تح: أحمد عبد الغفور عطار؛ ج6؛ ط4؛ دار العلم للملايين؛ بيروت؛ 1987م؛ ص296.

ب-اصطلاحا:

يختلف المعنى اللغوي لمصطلح الثنائية الضدية عن المفهوم الاصطلاح فهو أوسع لأنه مصطلح حاضر في أغلب المجالات العلمية فقد جاء في المعجم الفلسفي أن « الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين » [1]. وأما لفظة الثنائية « هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد و تعاقبها... »[2] فهي تشكل « نظرية في التفسير وهو ما يفسر حالة معينة، أو المجال من حيث العوامل، اثنين من المعارضين، والثنائية هي ذات شقين وهي التصنيفات التي لا تقبل من درجة المتوسطة» [3] فهي نظرية قائمة على النمط الثنائي لأنها« تفرض اشتمال الشيء على مبدأين مستقلين لا يذوب أحدهما في الآخر، ولا يشبهه » [4] إذ تمثل الثنائيات الضدّية أساس يقوم يقوم عليه الكون« لما لها من تأثير قوي في الصراع، واستمرار الحياة على الأرض، وتُظهر الثنائية منظومة فكرية فلسفية حياتية متكاملة، ويبنى على أساس الثنائية الإيقاع الثنائي للعالم، وبنيته؛ لأنه مرتبط بالثنائية حيث التضاد، والتوازي، وكلّ طرف من طرفي الثنائية يسوغ وجود الآخر » [5] بمعنى أن العالم والفكر قائمان على أساس التقابل بين المتضادات وعبر عنه الفلاسفة الفلاسفة بالصراع بين عالم المحسوسات أو العالم المادي وعالم التجريد الذي أطلق عليه الفلاسفة اسم عالم المُثل.

وخلاصة القول أن مفهوم الثنائية يقتضي تقابل أمرين فهي تعتمد على التثنية، لأن « لفظ الثنائية ضعف الواحد، وقد يكون هذا الضّعف شبيهه، أو نظيره، أو ضدّه، ويعني هذا الأمر أن

1-جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ ج1؛ دط؛ دار الكتاب اللبناني؛ بيروت؛ 1982م؛ ص379.

2-نفسه؛ ص379

3- هدى محمود عمر وأسيل إبراهيم محمود منصور؛ الثنائيات المتناقضة في تصميم الفضاء الداخلي المعاصر؛ مجلة كلية التربية الأساسية؛ الجامعة المستنصرية؛ العدد85؛ المجلد20؛ العراق؛ 2014م؛ ص 481.

4- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص16.

5- نفسه؛ ص9.

العدد واحد يشكّل مع واحد آخر ثنائية مهما كانت العلاقة بينهما، وفي هذه الحالة يلازم كلّ طرف من طرفي الثنائية الأخرى، ولا ينفكّ عنه، وإن كان قابلا للانفكاك عنه انتفت عنه صفة الثنائية » [1] يعني القول السابق أن الثنائية تقتضي بالضرورة طرفين متقابلين متناقضين يستحيل انسجامهما أو حصولهما في آنٍ واحد.

ومن المصطلحات التي تقاربها في المعنى نجد مصطلح الثنوية والتي هي « فرقة تقول بإلهين اثنين: إله الخير وإله الشر، قالوا أنا نجد في العالم خيراً وشرا » [2] وكذلك نجد مصطلح الاثنينية والتي ترمز إلى« كون الطبيعة ذات وحدتين؛ أو هي كون الشيء الواحد مشتملا على حدّين متقابلين ومتطابقين » [3] فالمصطلحين الثنوية والآثنينية يقومان على مبدأ وجود علاقة بين شيئين اثنين إما متضادين أو متطابقين، حضور أحدهما يُستحضر الآخر في الذهن، بطريقة تلقائية فيكونان متقابلين متوازيين متكاملين وبهذا الشكل لا يتناقضان ولا ينفي أحدهما الآخر، ولكل منهما خصائص ومميزات قد لا تظهر إلا حين تقابله مع ضده مشكلان بذلك ثنائية، من ذلك ما نجده في أسماء الله الحسنى إذ لا تظهر بعض معاني الأسماء إلا بأخرى، كقولنا الله الضار أو قولنا الله النافع فهذين المعنيين إذا ما تم تلفظهما في شكل ثنائية الله الضار النافع لكان المعنى أبلغ و أكمل فالثنائية تضفي جمالا على المعنى بتقريبه للذّهن.

ولقد وردت في القرآن الكريم ثنائيات ضدية لا تعد ولا تحصى، ويكمن التّضاد بين آيات القرآن الكريم في وصف مشاهد النعيم و مشاهد الجحيم في آيات متتاليات كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ

1- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص15.
2- جميل صلبيا؛ المعجم الفلسفي؛ ص380.
3- نفسه.

يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُوا بَلَى وَلَـكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿71﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿72﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴿73﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّـهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿74﴾﴾[1] فالثنائيات التي تجمع بين المتضادين في القرآن الكريم لا تحصى بل هناك سور بأكملها مبنية على مبدأ التضاد والثنائيات كسورة الليل.

ولمصطلح الثنائية الضدية مصطلحات تقاربها في المعنى، منها مصطلح الجدل في ميدان الفلسفة ويسمى باللغة الإنجليزية (Dialectic) الذي عرب بمصطلح الديالكتيك وهو«علم دراسة الأضداد الموجودة في الأشياء، ومحاولة فهمها، وإيجاد حلول لها » [2] إذ تمثل ظاهرة التضاد نقطة تشارك بين مصطلح الديالكتيك ومصطلح الثنائية الضدية، فالتضاد في الثنائية الضدية تقابل بين أمرين لا يجتمعان ولا ينفي أحدهما الآخر؛ والتضاد في الجدل هو تواجد الظاهرة وضدها في وحدة واحدة « وفي الوحدة الواحدة تكون الأضداد في حالة مستمرة، وصراع دائم، فالقديم والجديد ضدان، ويوجدان معا، ولا ينفي أحدهما الآخر، بل يتصارعان ــ وينتهي صراع الأضداد في الجدل بسيطرة أحد الضدين ــ ولا ينفي الضد ظهور ضد جديد، وإلا توقف التطور » [3]ومن المصطلحات التي تتماثل مع مصطلح الثنائية الضدية في المعنى مصطلح التقابل وهو« علاقة بين شيئين احدهما مواجه للآخر، أو علاقة بين المتحركين يقتربان سوية من

1- سورة الزمر؛ الآية 71-74.

2- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص27.

3- نفسه؛ ص 28.

نقطة واحدة أو يبتعدان عنها »[1]، ومنه يمكن القول أن التضاد و التقابل كلاهما جمعٌ بين أمرين مختلفين غير أن التقابل نسبي غير تام عكس التضاد، لأنه في حالة التقابل قد يكون فيه نوع من التماثل بين المتقابلين في بعض الخصائص وعليه فالتضاد يبقى أقوى واعمُّ من التقابل.

أما المصطلحات التي تتقاطع ومصطلح الثنائية الضدية مصطلح التناقض؛ لأن التّضاد والتناقض علاقتان تجمعان بين شيئين اثنين، ونعني بالتناقض في مجال الفلسفة « تباين واختلاف مسألتين... ومعنى التناقض في الأصل ثبوت الشيء وسلبه: كزيد ولا زيد، وزيد كاتب، وزيد ليس بكاتب ومعناه هنا اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب، بحيث تصدق إحداهما وتكذب الأخرى»[2] ، فالتناقض يستوجب نفي أحد طرفي الثنائية باستعمال أداة نفي كحرف لا أما التضاد فإنما يكون باختلاف اللفظتين بالإضافة إلى أن مصطلح التناقض مصطلح فلسفي أكثر من أنه لغوي« فإن كان التضاد يقع في الأفعال فإن التناقض في الأقوال، لكن الصفتين المتناقضتين لا تصدقان على شيء واحد في الوقت نفسه، ومن جهة نفسها، ولا تكذبان، فالأسود والأبيض متضادان، لكن الأسود و اللا أسود متناقضان، ففي التناقض إذا صدقت إحدى الصفتين على شيء فالأخرى كاذبة حتما، فيجب أن تصدق إحدى الصفتين، وتكذب الأخرى »[3] ومن هذا القول نخلص إلى أنّ التناقض مصطلح فلسفي كونه يعبر عن صدق القضايا و كذبها ولا يتعلق بالكلمات أو المعنى فحسب. وغير هذه المصطلحات الكثير كل واحد منها له خاصية تفرقه عن الآخر حتى وأن كان ذلك الاختلاف بسيطا، لكن الخلط بين هذه المصطلحات من قبل الباحثين يخلق ما يسمى بفوضى المصطلحات؛ فنجد من يستعمل التناقض والتناظر والتضاد والتعارض

1- جميل صلبيا؛ المعجم الفلسفي؛ ص318.

2- أحمد دمنهوري؛ رسالة في المنطق: إيضاح المبهم في معاني السلم؛ تح: عمر فاروق؛ ط1؛ مكتبة المعارف؛ بيروت؛ 2006م؛ ص65-66.

3- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص24.

والتباين والتضارب والتقابل؛ كأنها مترادفات رغم وجود اختلافات جوهرية بينها لا تتجلى إلا لأهل الاختصاص.

ثالثا: الثنائية الضدية في العلوم المختلفة:

الثنائية الضدية قضية علمية ذائعة الصيت، نجدها في كل المجالات سواء في العلوم نظرية أو في العلوم التطبيقية لأهميتها ومكانتها في المجال العلمي فهي ظاهرة أساسية من الظواهر الطبيعية تتخذ أشكالا مختلفة من مجال لآخر فالثنائية في المجال اللغوي هي تقابل بين الألفاظ أما في مجال الفيزياء فهي تفاعلات بين عنصرين متضادين، أما علماء الفلسفة فقد تناولوها من جانب فلسفي بحت بوصفها لبنة تبنى عليها القضايا الفلسفية، إذ نجد الفلاسفة اهتموا بدراسة العديد من الثنائيات من بينها ثنائية الصورة/المادة، وثنائية الطبيعي/فوق الطبيعي فهي تشكل« نظرة فلسفية تقوم بازدواج المبادئ المفسرة للكون، ومنها الأضداد وتعاقبها، فهي تعد الجوهرين: الروحي، والمادي جوهرين متساويين لا ينحل أحدهما عن الآخر، خلاف الواحدية »[1] فهي علاقة تجمع بين طرفين اثنين وفق علاقة تضاد إذ أن الثنائية« تفترض اشتمال الشيء على مبدأين مستقلين لا يذوب أحدهما في الآخر، ولا يشبهه"[2] فكل شيء في الكون له ما يقابله سواء كان بارزا أو خفي إلا أن لكل شيء ضدٌ، ومن بين الثنائيات التي شغلت الفكر الإنساني ثنائية الإنسان/الكون خاصة في علم النفس "ففي النفس البشرية يلتقي طرفا هذه الثنائية التي انشغل بها الفكر الإنساني كثيرا عبر اختلاف عصوره وبدت الحياة صعبة التفسير بمعزل عن فكرة الأضداد والثنائيات وبدت قائمة في كثير من جوانبها على الأضداد

1- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص64.

2- نفسه؛ ص16.

وثنائيات » [1] ومن العلماء النفسانيين الذين أقاموا تحليلهم النفسي على أساس الثنائية المزدوجة جورج كيلي إذ يقول:« أن العمليات النفسية للشخص تمرّ بالسبل التي يتوقع بها حدوث الأحداث، ومن هذه المسلمة الثنائية » [2] نفهم من قوله هذا أن شخصية الإنسان تقوم على مبدأ الثنائيات وأن تشابه الأحداث وتقارب حيثياتها يؤدي إلى توقع نتائج مشابهة لسابقتها بالضرورة، أما العالم النفساني كارل يونك تجاوز في دراسته الشخصية الفردية إلى المجتمع في نظريته التي تقوم على الثنائية، إذ يرى أن« كل رغبة أو شعور له مضاد(كالحياة و الموت)، فإن التضاد يكون ليس في داخل الفرد، بل أيضا بين الفرد و المجتمع » [3] في قوله أشار إلى أن الثنائيات لا تكون داخل الذات البشرية فقط بل تتجاوزها إلى الخارج والذي يمثله المجتمع، في حين ربطها كوهن بالذات والشعور الداخلي فقال:« أن الثنائيات الضدية تنشأ من شعورين مختلفين يوقضان الإحساس، وواحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الإدراك في الوعي، والثاني يظل في اللاوعي » [4] من خلال هذا القول يظهر مدى ميل كوهن للتحليل النفسي فقد عالج مفهوم الثنائيات الضدية باستعماله لمصطلحات خاصة بعلم النفس كقوله (الإحساس، الشعور، الإدراك، الوعي).

فما توصل إليه علماء النفس مفاده أنه لا يمكن تفسير السلوكيات وتفسير الحياة بمعزل عن الثنائيات الضدية« كما تطرح الفلسفة خطوطا متقابلة في النفس البشرية وتعد من عجائب التكوين

1- سمر الديّوب، الثنائيات الضدية دراسة في الشعر العربي القديم؛ ؛ منشورات وزارة الثقافة؛ الهيئة العامة السورية للكتاب؛ دمشق؛ 2009م؛ ص4.

2- صالح قاسم حسين؛ الشخصية بين التنظير والقياس؛ ط1؛ مكتبة الجيل الجديد؛ صنعاء؛ 1997م؛ ص27.

3-أحمد محمد ويس؛ ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي: بحث في المشاكلة والاختلاف؛ ط1؛ دار كنوز المعرفة؛ عمان؛ 2017م؛ المقدمة.

4- جون كوين؛ اللغة العليا النظرية الشعرية؛ تر: أحمد درويش؛ المجلس الأعلى للثقافة؛ القاهرة؛ 1995؛ ص18. ص28.

البشري تلك الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية فهما متجاوران ولكن مختلفان أي متناقضان ولكنهما قد يجتمعان في شيء واحد مثل(الخوف/الرجاء) (الحب/الكره) (الحسية/المعنوية)، (الخيال/الواقع) (السلبية/الايجابية) (الفردية/الجماعية) » [1] مما سبق يظهر لنا أن الثنائية الضدية بنية كامنة في أغوار النفس البشرية وهي جزء لا يتجزأ منها.

وفي علم البلاغة فقد أشار محمد عبد المطلب إلى تعدد أشكال النمط الثنائي في الدّرس البلاغي بقوله«إن النمط الثنائي لم يأخذ شكلا واحدا في كل مجال من مجالات الدرس البلاغي، بل يبدو أنه كان هناك نوع من التوافق بينه وبين المجال الذي يرد فيه » [2] يعني هذا القول أن الثنائيات تأخذ أشكالا مختلفة في علم البيان وعلم البديع ففي علم البيان تأخذ صيغة الجدلية أما في علم البديع« فتكاد تكون الثنائية تفاعلا خالصا، واستثمارا لإمكانات اللغة، وما تقدمه في هذا المجال من ألوان التوافق والتخالف » [3] في هذا القول رصد محمد عبد المطلب حضور مفهوم الثنائية الضدية في علم البلاغة مبينا أشكالها واختلاف المصطلحات التي تشير إلى الثنائية الضدية، فنجد مصطلحات كثيرة تحمل معنى التضاد كمصطلح الطباق والمقابلة والتكافؤ، فالطباق هو« الجمع بين المتضادين... » [4] والمقابلة هي« أن يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فأكثر، ثم بأضدادها على الترتيب » [5]فالمقابلة مجموعة من المفردات المتقابلة المتضادة تأتي بشكل متتالي في جملة واحدة لها جمال فني من خلال ما تبرزه من معاني متصارعة فتعطي

1- هدى محمود عمر وأسيل إبراهيم محمود منصور؛ الثنائيات المتناقضة في تصميم الفضاء الداخلي المعاصر؛ ص487.

2-عبد المطلب محمد؛ بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي؛ ط2؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ 1995م؛ ص69.

3-نفسه؛ ص70.

4-الخطيب القزويني؛ الإيضاح في علوم البلاغة؛ تح: عبد الحميد هنداوي؛ ط2؛ مؤسسة المختار؛ القاهرة؛ 2004م؛ ص288.

5- عبد القادر حسين؛ فن البديع؛ ط1؛ دار الشروق؛ القاهرة؛ 1983م؛ ص49.

للنص حيوية إلى جانب الجمال، أما« التكافؤ فهو كالطباق في أنه ذكر الشيء وضده، لكن يشترط في التكافؤ أن يكون أحد الضدين حقيقة والآخر مجازًا، فبهذا يحصل الفرق بينهما » [1] والملاحظ في هذه التعريفات التي ذُكرت أن مصطلح التضاد يتكرر فهو قاسم مشترك بينها، فالطباق جمع الشيء بضده فهما بالضرورة يشكلان ثنائية ضدية والمقابلة تكتنف ثنائيات عديدة لتقابل المعاني المتضادة داخلها أو بتقابل الألفاظ المتضادة التي تكتنفها وأما التكافؤ فهو يحمل معنى التضاد كونه يعد كالطباق وذلك راجع لأهمية التضاد في الدراسات البلاغية« فالتضاد يخلق الجمال ويفجر المعاني ويفصح عنها فتنقاد للفهم وتستقر بالذهن » [2] لأن بعض المعاني لا تتجلى دلالتها إلا بمقابلتها بضدها في شكل ثنائيات ضدية لها وظيفة تسمى« وظيفة معرفية عامة قائمة على أساس أننا لا نعرف الشيء بدقة وعمق إلا من خلال معرفة نقيضه، وذلك لأن النقيض يوفر لنا إمكانية المقارنة بين الشيء ونقيضه، وإن هذه المقارنة تساعدنا على الاستنتاج وبناء تصور معرفي عن الأشياء ومعرفة الايجابي والسلبي من خلال عملية المقارنة هذه » [3] ومن جماليات التضاد أن له قوة تأثيرية في نفسية المتلقي إذ يقول عبد القاهر الجرجاني « وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المشئم والمعرق وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار

1-نجم الدين ابن الأثير الحلبي؛ جوهر الكنز" تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة؛ دط؛ تح: محمد زغلول سلام؛ منشأة المعارف؛ الإسكندرية؛ 2009م؛ ص89.

2-محمد الواسطي؛ ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين؛ دراسة بلاغية نقدية؛ ط1؛ دار نشر المعرفة؛ الرباط؛ 2003م؛ ص236.

3-حسن ناهض، يوسف الخطيب: ذاكرة الأرض ذاكرة النار؛ ط1؛ اتحاد الكتاب العرب؛ دمشق؛ 2004م؛ ص41.

مجتمعين » [1] هذا القول جمع كل فضائل الثنائية الضدية على النص الأدبي؛ شعراً كان أو نثراً، فالدارس للتراث العربي يجد أن مفهوم الثنائية الضدية وجد حقا في الدراسات البلاغية وإن غاب المصطلح ولم يذكر بلفظه الصريح.

ولم يقتصر حضور الثنائية الضدية في العلوم التجريدية فقط بل لها حضورا كبير في الميدان التجريبي خصوصا في علم الفيزياء وعلم الطاقة، ففي« العصر الحالي يتم التركيز على العلوم المادية، ولم يستطع العلماء فهم العالم الخفي للطاقة، والأرواح، ولكن الجانبين يتكاملان، فهنالك أمور أبعد من النظرة العلمية للعلوم الحديثة، والاعتقاد بطرف واحد من هذه الثنائية: المادية/اللامادية يجعل وجهة النظر أحادية، فالوجهان ثنائية ضدية تمثل جوهراً واحدا للحياة » [2] هذا يعني أنّ تواجد الثنائية في محتوى ما أمر مفروض منه وإن كان غير جلي للعيان إذ نجد« جزيء الماء على سبيل المثال يدخل في كل شيء تقريبا، لكن هذه الظاهرة في حركة دائمة، وناجمة عن التقاء داخلي للضدين، فجزيء الماء H2O هو تحديدا ذرتان من الهيدروجين، وذرة من الأكسجين، وليس ثلاث ذرات (من نفس العنصر) مثلا، وهذه الظاهرة تدخل في تركيب ظواهر ضدية أكبر » [3] فالتركيب الجزيئي للماء مبني على النمط الثنائي لأنه مكون من جزئيتين من الهيدروجين وذرة من الأكسجين، فأبسط الأشياء المحيطة بنا كالهواء والماء وغيرها نجدها قائمة على الثنائيات المتضادة «لأنه يوجد هناك تنافسا ونظاما داخليين في

1-عبد القاهر الجرجاني؛ أسرار البلاغة في علم البيان؛ تح: محمد رشيد رضا؛ ط1؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ 1988م؛ ص111.

2- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص45.

3-نفسه؛ ص 44-45.

الكون وهذا ينتج من اتحاد المتناقضين... » [1]، ومن الظواهر الطبيعية أيضا ظاهرة الضغط الجوي وظاهرة الجاذبية الأرضية، إذ يمثلان حركتان متضادتان لأنه « كلما ارتفعنا عن سطح الأرض ازدادت قوة الطرد الأرضية، وحصل انخفاض في مستوى الضغط الجوي، وبالمقابل ستزداد الطاقة الجوية القادمة من خارج الأرض قوة، كلما اقتربنا من باطن الأرض؛ لذا يتعاظم الضغط الجوي، في المناطق المنخفضة، ففي قعر المحيط مثلا يكون الضغط الجوي أقوى من الضغط الجوي في نقطة متساوية مع سطح البحر » [2]، هذه الظاهرة الكونية جسدت لنا معنى الثنائية الضدية في العالم المادي، أما في العالم الحسي فمثلته طريقة تكون وخلق الإنسان« فالجنين حين يتكون في رحم الأم ينشأ من اتحاد النطفة، والبويضة، ثم ينشأ في وسط مائي، ويخرج إلى وسط هوائي، فيتغذى من الأرض/الأم، بعد أن كان يتغذى من المشيمة/الأم » [3] وكذلك نجد ثنائية الحياة والموت، التي تشكل حيزا كبيرا في الجانب الروحي في الجانب الجسماني للإنسان وخلقه وهو« أن الإنسان ولد وهو يحمل ثنائيات له يدين ورجلين وعينين وهي ثنائيات من نفس الصنف أو متماثلة ولد وهو يحمل ثنائيات متناقضة من (الخير/الشر)(ليل /نهار) (كبير/صغير) كلها أمثلة على الثنائيات » [4] فالإنسان عبارة عن حوصلة من الثنائيات الضدية في نفسيته وسلوكياته وحتى جسمه المبني على مبدأ التقابل.

1- ينظر؛ قاسم الحاطب؛ جماليات الفن التشكيلي في عصر النهضة الأوروبية ومدارس الفن الحديث والمعاصر(الحداثة وما بعد الحداثة)؛ دار البداية؛ ط1؛ بغداد؛ 2010م؛ ص116.

2- قاسم الحاطب؛ جماليات الفن التشكيلي في عصر النهضة الأوروبية ومدارس الفن الحديث والمعاصر(الحداثة وما بعد الحداثة) ص46.

3- قاسم الحاطب؛ جماليات الفن التشكيلي في عصر النهضة الأوروبية ومدارس الفن الحديث والمعاصر(الحداثة وما بعد الحداثة)؛ ص47.

4-شيرين إحسان شيرزاد؛ الأسلوب العالمي في العمارة بين المحافظة والتجديد؛ دار الشؤون الثقافية؛ بغداد؛ 1997م؛ ص218.

رابعا: الثنائية الضدية في الحقل النقدي:

لقد عالج النقاد مفهوم الثنائية الضدية من وجهات نظر مختلفة نظرا لاختلاف الاتجاهات الفكرية والنظريات النقدية فلكل باحث طريقته في الدراسة فبعضها يركز على الشكل وبنية اللغة في حين نجد بعضهم يصب اهتمامه على المعنى والسياق، فالاتجاه الرومانسي يرى« أن الثنائية بين العقل والذات لا تحكمها علاقة تعارض وتضاد بالضرورة »[1]، بمعنى أن الاتجاه الرومانسي جاء رافضا لفكرة أن العقل والذات شيآن متضادان لهذا« يمكن القول أن الرومانسية كانت محاولة لإعادة بعض التوحد المفقود بين مكونات الوجود مثل الإنسان واللغة، فقد حاولوا جهدهم التقليل من خطورة التضاد، كما حاولوا إقامة جسر بين طرفي الثنائية، ونفي التعارض بين الحقيقتين العلمية والشعرية »[2] ومفاد هذا القول أن هذه الحركة النقدية الفلسفية الرومانسية جاءت كردة فعل عن المغالاة في استعمال العاطفة لهذا نجدها صبّت اهتمامها على الذات« وجعلت حضورها في الفلسفة المثالية الألمانية إلى شريعة التعبير عن الأنا ما دامت القالب الذي يصب العالم فيه، فالرومانسية محاولة لإعادة التوازن بين الداخل والخارج بعد أن مالت مدة طويلة نحو الخارج المادي المحسوس، ومحاولة إعادة التوحد إلى عالم أفقدته العلوم التجريبية وحدته »[3] غير أن الاتجاه الماركسي انطلق من« ثنائية الداخل/الخارج، وهم يرون أن الفنّ جزء من إيديولوجية المجتمع؛ أي البنية الفوقية للمجتمع، وقد ارتبطت النظرة الأدبية بالفكر السياسي والاقتصادي لدى ماركس وأنجلز فدعا الماركسيون إلى سيادة العقل، والتخلص من

1- عبد العزيز حمودة ؛ المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك؛ عالم المعرفة؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب؛ الكويت؛ 1998م؛ ص97.

2- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته ؛ ص124.

3- نفسه؛ ص125.

ذاتية الرومانسية، ومن ثنائية الشكل والمضمون » [1] فالأمر الجديد الذي جاء به الاتجاه الماركسي هو ربط الظواهر اللغوية بالوقائع الاجتماعية واستبدال ثنائية الشكل/المضمون بثنائية الداخل/الخارج في تفسير اللغة.

أما البنيوية فقد تعمقت في دراسة نظرية الثنائيات إذ « يشكل مفهوم الثنائيات الضدية عصب المدرسة البنائية في النقد والتحليل البنيوي/البنائي، وينحدر هذا المفهوم بوصفه مفهوما بنيويا... والتحليل البنيوي فكرة الثنائية الضدية من جهة الكلمات والمفاهيم فحسب بل من جهة تقاليد النص و رموزه » [2] كما جسدت البنيوية مفهوم الثنائية الضدية من خلال ربطها« بين العلامة و المتضادات الثنائية، فجمعت بين الدلالة والتمثيل بين المتقابلات » [3] بمعنى جعل لكل دال مدلول يقابله سواء أكان الدال لفظا أو علامة وإشارة فقد تناول البنيويون الثنائيات الضدية من خلال دراسة طبيعة لغة النصوص الأدبية فتجدهم « جعلوا اللغة موضوعا للدراسة، وانطلقوا من ثنائية اللغة الحقيقية/ المجازية، ومن ثنائية الداخل/الخارج في تحديد معنى النص، ومن ثنائية الاستخدام النصي/الاستخدام السياقي للغة التي تكتسب معناها من داخل النص، لا من خارجه"[4]، هدفت البنيوية لعزل النص عن السياق الخارجي والظروف المحيطة به والتركيز على تحليل وتفسير لغة النصوص الأدبية بغض النظر عن سياقاتها معتمدين في ذلك على دراسة التقابلات لأن "المبدأ الأساسي في هذا التيار هو الرؤية الثنائية المزدوجة للظواهر » [5] من خلال تحليل الصراعات المتضمنة داخل النصوص بهدف إبراز الدلالة و إعطاء قيمة للعمل الإبداعي.

1-سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته ؛ ص126.

2-سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم؛ ص5.

3-نفسه.

4- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص125.

5-فضل صلاح؛ النظرية البنائية في النقد الأدبي؛ ط1؛ دار الشروق؛ القاهرة؛ 1998؛ ص19.

ومن أشهر الدراسات البنيوية دراسة العالم فرديناند دي سوسير الذي ركز على« دراسة التقابلات أو الثنائيات التي أقامها في صرح الحقل اللغوي: كثنائية اللغة والكلام، ومحوري التعاقب والتزام» [1] فهذه الثنائيات جوهر أبحاثه كلها بالإضافة إلى« ثنائية الدال والمدلول، وثنائية التحول واللاتحول » [2] فقد عالج دي سوسير الظواهر اللغوية على مبدأ النمط الثنائي وعلى مبدأ التقابل من أجل معرفة خصائص اللغة ونظامها الداخلي فهو« ينظر إلى اللغة على أنها نظام من الاختلافات » [3] فقد أعطى أولوية للدلالة في تحليله اللساني للّغة بهدف تفسير ظواهرها ومعرفة قوانينها؛ أي دراستها لذاتها لا لأغراض أخرى، ومن بين التيارات التي ركزت على الدلالة الاتجاه التفكيكي فقد« أحلّ التفكيكيون اللعب الحرّ للدوال محل التضاد الثنائي، فالدلالات/ الكلمات لا تكسب دلالتها من تجمعها في تقابلات ثنائية يحدّد فيها معنى كلمة غائبة من معنى كلمة أخرى حاضرة في النص، بل اكتسب معناها المراوغ، والمختفي عن طريق لعب المدلولات، وحركتها الحرّة فيتم تحديد المعنى بصفة مؤقتة إلى أن يفككه قارئ آخر » [4] بمعنى أن التفكيكية ركزت جلّ اهتمامها على دلالة الألفاظ وتغيرها من تحليل لآخر حسب الخلفية المعرفية للقارئ وطريقة تفكيكه وتحليله للغة« لكنها ابتعدت عن التوفيق بين الأضداد، فالتفكيك تغير لانهائي للنص بينما يرى البنيويون النص مغلقاً، والتفسير مغلقا ونهائيا، كل قراءة لدى التفكيكين صحيحة إلى أن تفكك القراءة نفسها بنفسها، فكل قراءة لديهم هي إساءة

1-فرديناند دي سوسير؛ علم اللغة العام؛ تر: يوئيل يوسف عزيز؛ ط3؛ دار آفاق العربية؛ بغداد؛ 1998م؛ ص9.

2-فرديناند دي سوسير؛ دروس في اللسانيات العامة؛ تر: صالح القرمادي وغيره؛ ط1؛ الدار العربية للكتاب؛ طرابلس؛ 1985م؛ ص109-116.

3-عبد الله الغذامي؛ الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية؛ ط4؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية؛ 1998م؛ ص31-32.

4- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته؛ ص156.

قراء» [1] أي أن التفكيكية تتمحور حول دراسة الثنائيات الضدية داخل النصوص الأدبية واستخراج كل القراءات الممكنة لها وتقديم تفسيرات دقيقة عنها.

المبحث الثاني: التعريف بنظرية الحقول الدّلالية

تمتلك اللّغة العربية مخزونا لا حصر له من المفردات المعجمية منها ما هو مترادف ومنها ما هو متضاد، وكثير منها لا تحكمه أي علاقة دلالية. إلا أن الأبحاث الدلالية الحديثة توصلت إلى« كيفية تنسيق ألفاظ اللّغة في شكل نظام محكم، وذلك من خلال الربط بينها بعلاقات دلالية مختلفة كالتشابه والتضاد والتقابل والاشتمال وما إلى ذلك، فانبثقت عن هذه الدراسات نظرية تسعى إلى "تحديد معنى الكلمة على أساس علاقتها بالكلمات الأخرى « الكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية أي عدم وجود الكلمات المناسبة لشرح فكرة معينة أو التعبير عن شيء ما، كذلك إيجاد التقابلات و أوجه الشبه و الاختلاف بين الأدلة اللغوية داخل الحقل الدلالي الواحد و علاقتها باللفظ الأعم الذي يجمعها ويمكن بناء على ذلك إيجاد تقارب بين عدة حقول معجمية » [2] فهي تصنف مفردات اللغة في حقول دلالية تمتاز بالتنظيم والتّبويب لتسهل على مستعمليها دقة انتقاء الألفاظ المعبرة عن المعاني المقصود دون خلط بينها.

1- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية دراسة في الشعر العربي القديم؛ ص5.

2- منقور عبد الجليل؛ علم الدلالة ومباحثه في التراث العربي؛ دط؛ ج1؛ اتحاد الكتّاب العرب؛ دمشق؛ 2001م؛ ص77.

أولا: مفهوم مصطلح الحقل لغة واصطلاحا:

أ- لغةً:

جاء في قاموس المحيط« الحقل: قراحٌ طيب يزرع فيه كالحَلَقة ومنه: لا ينبتُ البَقْلَةَ إلا الحقَلَةُ، والزّرعُ قد تَشَعّبَ وَرَقَهُ، وظَهَرَ وكَثُرَ، أو إذَا اسْتَجْمَعَ خُرُوجَ نَباتِهِ، أو مَادَامَ أخضَرٌ،.... والحِقْلُ، بالكَسْرِ: الهَودَجُ ودَاءٌ في البَطْنِ، مَاءٌ الرِّطِبِ » [1] وجاء في لسان العرب« الحقلُ: قراح طَيبٌ، وقيلَ: قرح يُزرَعُ فيهْ، وحكي بعضهم فيه الحَقَلة...وقيلَ: هو الزرعُ ما دام أخضر؛ وقيلَ: هو إذا كَثُرَ ورقهُ، وقيل: حَقُلَ الزَرعُ إذا تَشّعَبَ ورقُهُ من قَبلِ أن تَغْلُظَ سُوقهُ... » [2] وهذه المعاني اللغوية للحقل تحيلنا إلى المعنى الاصطلاحي.

ب-اصطلاحا:

جمع العرب الألفاظ المعجمية وفق نظام محكم يجمعها يطلق عليه مصطلح« الحقل الدلالي Semanticfield أو الحقل المعجميlexicalfield وهومجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) و تظم ألفاظا ً مثل: أحمر؛ أزرق؛ أصفر؛ أخضر؛ أبيض...الخ » [3] في حين نجد بعض الباحثين يطلق عليه مصطلح الحقل المعجمي وهو« صنف أو عنوان تندرج تحته مجموعة كلمات يتراوح عددها بين اثنتين وبضع مئات أو بضع آلاف... » [4] ويعرفه ستيفن أولمان Ullmann أيضا هو« قطاع متكامل من المادة اللغوية

1- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص980.

2- ابن منظور؛ لسان العرب؛ ط4؛ ج11؛ دار صادر؛ بيروت؛ 2005م؛ ص160

3-أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ط5؛ مكتبة لسان العرب؛ دمشق؛ 1998م؛ ص79.

4- محمد علي الخولي؛ علم الدلالة(علن المعنى)؛ ص175

يعبر عن مجال معين من الخبرة » [1]، ومنه فالحقول الدلالية حيز يجمع مفردات ذات معنى واحد أو متقارب فالعلاقات داخل الحقل الدلالي لا تخرج عن كون إما:

- « **علاقة اشتمال**: بحيث تتضمن كلمة ما كلمة أخرى أو مجموعة من الكلمات؛
- **علاقة تضاد**: يكون فيها معنى الكلمة عكس معنى أختها في الحقل الدّلالي؛
- **علاقة جزء بالكل**: نحو علاقة اليد بالجسم حيث اليد جزء من الجسم وليس نوعا منه؛
- **علاقة تنافر**: يكون في الكلمة ملمحا دلاليا على الأقل يتعارض مع ملمح دلالي آخر في كلمة أخرى معها في نفس الحق » [2].

وكل هذه العلاقات على اختلافها لها هدف مشترك هو تحقيق التماسك و« الكشف عن الوشيجة الترابطية» [3] للنصوص الأدبية وتحقيق التماسك والترابط النصي داخلها؛ في حين نجد ستيفان أولمان قسّم الحقول الدلالية إلى أنواع ثلاثة هي:

1. « الحقول المحسوسة المتصلة مثل التي تشتمل الألوان ؛
2. الحقول المحسوسة المنفصلة مثل التي تشتمل على الأسر؛
3. الحقول التجريدية وهي تضم علم الأفكار المجردة » [4].

يعد التقسيم المذكور سابقا من أبرز التقسيمات للحقول الدلالية، وأدّقها ويرجع التباين بين هذه التصنيفات إلى اختلاف المرجعية المعرفية لدى الباحثين وطريقة دراستهم للمعنى فقد«تعددت الطرائق التي اعتمدها العلماء العرب القدماء في تحديد دلالة الألفاظ وذلك من خلال وضعهم

1- ينظر؛ أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص79.

2-أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص105.

3-عبد القادر عبد الجليل؛ التنوعات اللغوية؛ ط1؛ دار الصفاء؛ عمان؛ 1997م؛ ص334.

4- ستفن أولمان Ullman Stéphane عن أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص79.

معاجم الألفاظ والتأليف في المشترك والأضداد، أو تنظيم الألفاظ في حقول دلالية تجمع بينهما ملامح دلالية مشتركة، فهناك ألفاظ تتصل بالمحسوسات المتصلة كالألوان، أو المحسوسات المنفصلة كالألفاظ الأسرية والألفاظ التجريدية المتمثلة بما يدل على الأفكار والرؤى كل ذلك انطلاقا من لفظ عام يجمع بين هذه الألفاظ الداخلة في حقل دلالي معين يكون هو(المتضمن الأعلى)... » [1] يعني هذا أن تصنيف المفردات المعجمية داخل الحقول الدلالية يعتمد على تلك الملامح المشتركة بين الوحدات لإقامة علاقة تربط بعضها ببعض تحت لفظ عام يجمعها وفق نظام محكم.

ثانيا: نظرية الحقول الدلالية عند العرب:

يذهب الكثير من الباحثين إلى الدراسات الغربية أثناء معالجتهم لنظرية الحقول الدلالية ظنّا منهم أن الغرب كانوا سباقين لهذا المجال، غير أن الحقيقة غير ذلك فالمتعمق في دراسة التراث العربي يجد أن لهذه النظرية إرهاصات ومعالم واضحة في كتب العرب ومؤلفاتهم، ومن جهودهم التي أرست معالم الحقول الدلالية أنهم كانوا« سباقين إلى تصنيف المفردات حسب المعاني أو المفردات وقد تمثلت الأولى لهذا التصنيف في الرسائل الدلالية الصغيرة التي ظهرت مع بداية التدوين من ذلك رسائل متعددة اختصت بموضوع واحد، كالرسائل التي عنيت بالمفردات الدالة على خلق الإنسان أو الخيل... إضافة لرسائل عمدت للتصنيف الصرفي كرسائل الهمزة و الأبنية كفعلت وأفعلت » [2] فتلك الرسائل الصغير دليل دامغ على أسبقية العرب لنظرية الحقول الدلالية وكان ظهورها في شكل عمل ميداني لا نظري« فعندما نؤرخ

1-هادي نهر؛ علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي؛ تح: علي الحمد؛ ط1؛ دار الأمل للنشر والتوزيع؛ الأردن؛ 2007م؛ ص563.

2-أحمد محمد قدور؛ مبادئ اللسانيات؛ ط3؛ دار الفكر؛ دمشق؛ 2008م؛ ص3006.

لنظرية الحقول الدلالية العربية فإننا لا نجد في التراث اللغوي العربي ما يشير من بعيد ولا من قريب إلى المصطلح »[1]، ويعني هذا القول أن العرب لم يتفطنوا إلى تسمية هذه الدراسات البسيطة للمعنى بنظرية الحقول الدلالية كما فعل الباحثون من بعدهم؛ بل كان هدفهم جمع اللغة والحفاظ عليها لا تأسيس النظريات، غير أن معالم نظرية الحقول الدلالية ظهرت عند العرب مع ظهور التدوين في شكل رسائل لغوية ضمت مفردات لموضوع محدد كوصفهم الإبل أو الإنسان أو النبات، ثم تعلقت بدراسة غريب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ وذلك حفاظا منهم على القرآن الكريم من التغيير وعلى اللّغة العربية من اللّحن فقد« احتفل العرب والمسلمون منذ القرن الهجري الأول باللّغة العربية احتفالا عظيما وأحاطوها بعناية بالغة... تجلّى الاشتغال باللغة في ظواهر شتى: من جمع للشعر ورواية له، ونقد لغوي وعمل مختارات شعرية، ثم محاولات لتدوين كتب لغوية خالصة، وكان من الكتب اللغوية: معاجم الألفاظ ورسائل عن ظواهر فردية، وأخرى على المعاني والموضوعات »[2] ثم تطورت الدراسات مع الحركة الفكرية والتطور العلمي فظهرت دراسات دلالية عربية الأصل ذاع صيتها، وكان لها دورا فعال في إثراء هذا المجال، وقد اختصرها الباحثون فيما يلي:

1-مرحلة الرسائل اللّغوية وكتب الموضوعات:

اهتدى العرب إلى فكرة التصنيف بالفطرة دون الاعتماد على مبادئ ثابتة موحدة بل كانت دراستهم على شكل رسائل لغوية، تجمع فيها الألفاظ التي تربط بينهما علاقات الترادف أو التضاد أو التقابل أو رسائل لغوية تعالج موضوعا واحد، ومن أشهر الرسائل اللّغوية التي

1-حسين نصار؛ معاجم على الموضوعات؛ ج1؛ ط1؛ مطبعة حكومة الكويت؛ الكويت؛ 1985م؛ ص5.
2-حسين نصار؛ معاجم على الموضوعات؛ ص22.

عالجت موضوع خلق الإنسان رسالة« خلق الإنسان، لأبي مالك عمرو بن كركرة » [1]، أما في موضوع الحيوان فقد ألّف العرب رسائل عديدة في الخيل والإبل وذلك لأنها كانت رفيقهم الدائم في السلم والحرب وفي هذا الصنف قال حسن نصار« هذا النوع من التصنيف بذا قبل عصر الخليل وسرعان ما وصل إلى نظامه عند الأصمعي فلم يستطع من بعده أن يتحرروا منه، إنما اقتصروا على تكميله، وكانت مادة الأصمعي خميرة لما بعده من كتب حتى المخصص، والأصمعي هو المعلم الأول فيه، ثم أبو عبيد ثم قمته ثابت بن أبي ثابت، وابن سيده في المادة واكتمال النظام » [2]، وما وصل إلينا من هذه الرسائل رسالة« الخيل: لأبي مالك عمرو بن كركرة » [3]، ورسالة« الإبل للأصمعي ت215: تحدث فيه عن نتاج الإبل وحلبها وأسماء أعضائها وألوانها وطريقة ورودها وأدوائها وسيرها وغير ذلك » [4] وغير الأصمعي الكثير ممن ألف في الإبل لأنها كانت رفيقة العرب في ترحلهم واستقرارهم فنظموا فيها الأشعار وألفوا فيها الرسائل. وأما الرسائل التي وصلت إلينا والتي ضمت موضوعات شتّى رسالة«الأيام والليلي والشهور، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء(ت207ه): عالج فيها الأسماء القديمة والحديثة للأيام والشهور العربية، وأسماء الهلال والقمر والشمس وظلمة الليالي، والأيام الباردة والحارة كما انه يستشهد على ما يقوله دائما بالقرآن والشعر والأمثال" ومن الرسائل اللغوية التي اختصت بذكر الظواهر اللغوية رسالة "الألفاظ الكتابية للهمذاني وأدب الكاتب لابن قتيبة(ت267ه)؛ الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، أبو الحسن الرمّاني(ت384ه) » [5] ، وكل هذه الرسائل باختلاف

1- هادي نهر؛ الأساس في فقه اللغة وأرومتها؛ دار الفكر؛ عمان؛ 2002م؛ ص152-160.

2- حسن نصار؛ المعجم العربي نشأته وتطوره؛ ط4؛ ج1؛ دار مصر للطباعة؛ مصر؛ 1998م؛ ص108.

3- موفق محسن علوي؛ نظرية الحقول الدلالية وتطبيقاتها في العربية؛ مجلة العلوم الإسلامية؛ دط؛ العدد 30؛ ص170.

4-عبد الحميد الشلقاني: الأصمعي اللغوي؛ دط؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ 1982م؛ ص111.

5- هادي نهر؛ الأساس في فقه اللغة وأرومتها؛ ص267.

مواضيعها تشكل مصدرا مهما للدارسين لاحتوائها على أغلب مفردات اللغة العربية وبعد مرحلة الرسائل توسعت مباحثهم إلى تأليف معاجم الموضوعات، وهي معاجم تجمع العديد من الرسائل اللغوية بين دفتي كتاب واحد فهي اعم من الرسائل اللغوية، وهذا النوع من المعاجم يهتدي به الباحث في اختيار الألفاظ الدقيقة للمعنى المناسب.

2-مرحلة المعاجم:

اهتم العرب بجمع اللغة من أجل المحافظة عليها من لّحن الأعاجم فانكبوا على جمع مفرداتها وتصنيفها محدثين حركة علمية فكرية، أسفرت عن كم هائل من المؤلفات فلا« تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث قد تفننت في أشكال معاجمها، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب، وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة» [1] فقد اعتمدوا على معيارين اثنين في ترتيب معاجمهم إما ترتيبها على أساس المعنى أو على أساس اللفظ ومن المعاجم التي رتبت على أساس اللفظ معجم المخصص لابن سيده فهو أفضل المعاجم العربية التي بُنيت على أساس الحقول الدلالية فهو يعد« عمل ضخم يضع صورة شاملة للغة العربية، فجمع الكلمات حول بعض المحاور الرئيسية المختلفة، ووضع ما يتعلق بالسماء والنجوم في فصل، وكذلك الأرض وأجواؤها، والإنسان وما يتعلق به من أسماء وأعضاء وصفات وأخلاق، ووضع النباتات وأنواعها في فصل وكذلك المسائل النحوية والصرفية، وهو عمل لا يخرج عن تطبيقات نظرية الحقول الدلالية » [2] فالملاحظ في منهجية ابن سيدا انه أقام معجمه على مبدأ التصنيف فقد خصص لكل موضوع فصل خاص به

1-أحمد مختار عمر؛ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر؛ ط6؛ عالم الكتب؛ القاهرة؛ 1988م؛ ص175.

2-أحمد عزوز؛ جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي؛ مجلة التراث العربي؛ مجلة فصلية محكّمة صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب؛ العدد85؛ دمشق؛ 2002م؛ ص78.

يجمع مفرداته وبذلك أبرز الخطوط العريضة لنظرية الحقول الدلالية وكذلك كتاب الحيوان« للجاحظ الذي تضمن تصنيفات شاملة للألفاظ وما يحتوي العالم من كائنات حيث قال: إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متّفق، ومختلف، ومتضادّ؛ وكلّها في جملة القول جماد ونام، وكان حقيقة القول في الأجسام من هذه القسمة، أن يقال: نام وغير نام، والنامي على الساقين: حيوان ونبات، والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح، والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام: ناس، بهائم، سباع، وحشرات » [1] ، ففي قوله هذا جسد لنا العلاقات التي تجمع بين الألفاظ داخل الحقل الدلالي الواحد؛ إما تضاد أو تماثل أو تناقض، ثم ذكر الخصائص التي تجمع بين الكلمات أو الأشياء المشتركة التي تجعها في حقول دلالية واحدة، أما الثعالبي فشكل نموذجا مثاليا تجسدت فيه نظرية الحقول الدلالية بطريقة معالجته للألفاظ و وتقسيمه تقسيمات يضع فيها ما تشابه فيقول في« الأولاد، ولدُ الفيل دغل، ولد الناقة حوارٌ، ولد الفرسِ مَهْرٌ، ولدُ الحِمَارِ جَحْشٌ ولدُ البقرةِ عِجْلٌ، ولدُ البقرةِ الوحشية بَحَزَجْ و بَرْغَزْ، ولدُ الشَّاةِ حَمَلٌ، ولدُ العَنْزِ جَدْيٌ ولدُ الأسدِ شِبلٌ، ولدُ الظَّبْيُ خَشَفٌ، ولدُ الأروية وَعَلٌ وغَفَرٌ، ولدُ الضبَعِ فَرعل، ولدُ الدُبِ دَيْسَمٌ، ولدُ الخنزير خَنُوصٌ، ولدُ الثعلبِ هَجرَسٌ، ولدُ الكلبِ جَرْوٌ، ولدُ الفأرةِ دِرْصٌ، ولدُ الضّبِ حَسلٌ، ولدُ القردِ قشَةٌ، ولدُ الأرنبِ خَرْنَقٌ، ولدُ الببر خِنصِيصٌ، ولدُ الحيّة حرْبشٌ، ولدُ الدّجاجِ فروجٌ، ولدُ النّعامِ رَأْلٌ » [2]؛ وكذلك ما جاء عن الثعالبي في ظهور الشيب وعمومه« يقال للرجل أول ما يظهر الشيب به: قد وخطه الشيب، فإذا زاد، قيل: قد خصّفه و خوّصهُ، فإذا ابيض بعض رأسه، قيل: أخلس رأسه فهو مخلس فإذا غلب

1–عبد الكريم حسين عبد سعدي؛ النظرية اللغوية بين الغرب والعرب؛ جامعة بابل نظام التعليم الالكتروني؛ كلية العلوم الإسلامية؛ 2018م؛ ص01.

2– عبد الكريم حسين عبد سعدي؛ النظرية اللغوية بين الغرب والعرب؛ ص1–2.

بياضه سواده، فهو أغثم (عن أبي زيد) فإذا شمطت مواضيع من لحيته قيل: قد وخزه القتير ولهزه، فإذا أكثر فيه الشيب وانتشر، قيل: قد تقشّع فيه الشيب عن أبي عبيد، عن أبي عمر » [1].

رغم كل هذه الجهود والدراسات وعلى كثرتها وغزارتها لم ترق إلى أن تكون نظرية، بل لم يطلق عليها اسم خاص أو مصطلح يشير إلى هذه الدراسات المتفرقة، فلم يكونوا على وعي بنظرية الحقول الدلالية لأن غايتهم من وضع الرسائل اللغوية والمعاجم كان تعليمياً وتوجيهيا ومساعدا للشعراء والمؤلفين وما يعاب على هذه الأعمال أنها تفتقر إلى المنهجية الموحدة فقد انتقد المحدثون العرب في نقاط هي:

- « عدم إتباعهم منهج معين في جمع الكلمات.
- عدم المنطقية في تصنيف الموضوعات وتبويبها.
- عدم الاهتمام ببيان العلاقات بين الكلمات في داخل الموضوع الواحد، وذكر أوجه الخلاف والشبه بينهما.
- قصورها الواضح في حصر المفردات حتى بالنسبة للمعاجم المتأخرة منها » [2]

غير أن هذه الأعمال الجليلة كانت محل لاهتمام المستشرقين و الغرب على حدّ سواء فبرزت الدراسات الغربية و تبلورت معها أركان النظرية الحقول الدلالية فخصّ لها مصطلح ومفهومة ومبادئ.

1-ابو منصور الثعالبي؛ فقه اللغة وسر العربية؛ شرح: ياسين الأيوبي؛ ط3؛ المكتبة العصرية؛ بيروت؛ 2001م؛ ص134.

2-أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص110.

ثالثا: نظرية الحقول الدلالية عند الغرب:

تطورت نظرية الحقول الدلالية وظهرت معالمها جلية مع الدراسات الغربية وأول إشارة إلى لمصطلح الحقل كان لتجنر« فقد أشار أومان إلى أن "تجنرTegner "استعمل مصطلح حقل في مقاله بعنوان (تقديم أفكار الحقل اللغوي...) (Feld Die Idee des Sprachlichen) »[1] فإن كان تنجر حضي بأسبقية إطلاق المصطلح فإن مايرMeyer كان له السبق في تطبيق مبادئ نظرية الحقول الدلالية، من خلال تقديمه لدراسات دلالية تمتاز بالتنظيم والإتقان فهو يعد« أول من عرض أفكاره بشكل منظم وكان ذلك عام 1910 في مقالته المسماة "نظم المعنىBedeutungss Système وقد حدد النظم الدلالية على أنها ارتباط منتظم لعدد محدود من التعبيرات من جهة نظر فردية » [2]؛ غير أن دراسته الدلالية جاءت متأثرة بدراسة أوستهوف لأن ميدان البحث العلمي قائم على أساس التكامل فلا وجود لدراسة استغنت عما سبقها من الدراسات، لأن المعرفة لا تتحقق إلا بالأخذ والعطاء فقد« ذكر ماير نفسه أن صيغة نظمه الدلالية كانت موجودة عند "أوستهوف Osthoff" في بحثه المسمى "طبيعة التعريف في اللغات الهند جرمانية Sprachen Suppletivwesen der indogermanischen " الذي طبع عام 189 بمدينة "هايد لبرج" بألمانيا»[3] . أما شيوع المصطلح بوصفه مفهوما لغويا فإنه يعود في البداية إلى« هوسرل Husserl"، "وفرديناند دىسوسير » [4].

1-محمود جاد الرب؛ نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب؛ ط1؛ ج71؛ مجلة مجمع اللغة العربية؛ مصر؛ 1992م؛ ص214.

2-نفسه؛ ص214.

3-نفسه؛ ص215.

4- نفسه.

غير أن هذه الدراسات التي ذكرت المصطلح لم تضع مفهومه خاص به، فإن ذكر المفهوم غاب المصطلح وإن ذكر المصطلح غاب المفهوم، كما أشار إيسن(Ipse) إلى مفهوم الحقل الدلالي دون ذكره للمصطلح بلفظ صريح بقوله« والإضافة إلى ذلك فأن هناك كلمات خاصة لا تقف وحيدة في اللغة، ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية، ولا يعني ذلك بأنها مجموعة اشتقاقية » [1] وهنا تلميح منه إلى فكرة الحقل الدلالي الذي تترابط مفرداته بعلاقات دلالية والتي أطلق عليها اسم(مجموعة دلالية).

ثم توالت الدراسات واتسعت الأبحاث الدلالية وصلت كل أمصار العالم غير أن القيام الفعلي لنظرية الحقول الدلالية تزامن مع ما جاء به فرديناند دي سوسير عن مبدأ القيمة، والذي يعني بها أن الكلمة لا قيمة لها وهي بمعزل المفردات أخرى، وقد شبهها سوسير بما يحدث داخل لعبة الشطرنج فالقطعة لا قيمة لها خارج اللعبة وكذلك اللفظة لا دلالة لها بمعزل عن أخرياتها« لأن اللّغة نظام من العلامات التي لا تكتسب قيمتها إلاّ من خلال علاقاتها بالعلامات الأخرى، المجاورة لها، مشبها إياها بقطعة الشطرنج حيث لا تعني شيئا خارج اللّوح الخاص باللّعبة، لكنّها تكتسب قيمتها من خلال علاقتها بالقطع الأخرى » [2]، بهذا أوحي إلى فكرة الحقل الدلالي ولاسيما بإبرازه« لعلاقة دلالية بين عدد ما من مدلولات بعض لألفاظ، خاصة عندما لفت الانتباه إلى ما سماه– الروابط التشاركية– الموجودة بين وحدات مثل(خشي، توجس، خاف) فهذه الكلمات في نظره، رغم قلتها تشكل مجموعة دلالية صغيرة يضمها مفهوم عام وهو

1–محمود جاد الرب؛ نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب؛ ص27.

2–أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3؛ الجزائر؛ 2007م؛ ص134–135.

الخوف »[1]، وما يشابه عمل دي سوسير عمل العالم الألماني جاست ترايز(Jost Trier) صاحب كتاب المفردات الألمانية في المقياس التصوري للإدراك « الذي قام بتجميع الأفكار بصورة متماسكة لهذه الفرضية سنة 1934، وقام بدراسة تنتمي إلى القطاع المفهومي في حيث تناول مفردات المعرفة أو الألفاظ في اللغة الألمانية المنتمية إلى فترة ما بين (1300. 1200م)، فلاحظ أن الحقل المفهومي في 1200م كان مغطى بحقل معجمي متكون من ثلاث كلمات وهي(الحكمة– List) و(الفن– Wisheit) و(الصيغة Kunt) ولكن بعد قرن من الزمن أي في1300م كان مغطي بحقل معجمي مشتمل على (Wlzzen-Kunst-Wisheit أي المعرفة) وأوضح أنه حدث تغيير في معاني الكلمات الثلاثة ضمن تحديد كلي لبنية الكلمة ولرؤية العالم التي تعبر عنها وتعكسها »[2] ومنه نفهم أن ترايز يربط تغير معاني الكلمات إلى اختلاف السياقات التي أنتجت فيها.

وكل هذه الدراسات كانت حافزا للتفكير في تأليف معاجم رتبت على أساس الحقول الدلالية فمن أبرز المعاجم التي صنفت حسب الموضوعات نجد« معجم Roget لكلمات اللغة الانجليزية وعباراتها بعنوان: Roget's I'hesauruso of English Words and phrases الذي رتبه على حسب المعنى متأثرا في ذلك بما كان شائعا آنذاك؛ وهو إمكانية تركيب لغة مثالية لتنظيم المعارف العلمية وتطويرها وهو معجم إنجليزي صنف ستة حقول دلالية هي: العلاقات المجرّدة؛ المكان؛ العادة؛ الإرادة؛ العواطف؛ اشتملت هذه الحقول على 990 مجالا فرعيا، طبع

1– شلواي عمار؛ العرب ونظرية الحقول الدلالية؛ العدد3؛ مجلة المخبر–أبحاث في اللغة العربية والآداب الجزائرية؛ جامعة محمد خيضر؛ بسكرة؛ 2006؛ ص321.

2–شلواي عمار؛ درعيات أبي العلاء؛ دراسة دلالية الألفاظ الخاصة بالإنسان وحياته الاجتماعية والاقتصادية؛ رسالة ماجستير؛ مخطوط بمعهد اللغة العربية وآدابها جامعة محمد خيضر؛ بسكرة؛ 1990م؛ ص31.

أول مرة في سنة 1851م »[1]، بالإضافة إلى معجم العهد الجديد اليوناني (Greek New testament)الذي عدّ أدقّ القواميس وأحدثها« فقد اعتمد فيه على التصنيف المنطقي و الأساس التسلسلي كما يقوم على أربعة أقسام رئيسية هي:

- الموجودات entities.
- الأحداث events.
- المجردات abstracts.
- العلاقات relstions.

وتحت كل قسم نجد أقساما أصغر. ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية... وهكذا »[2].

وهكذا توالت الدراسات الدلالية الغربية خدمة لنظرية الحقول الدلالية وصياغتها لتواكب التطور المعرفي الحاصل في الغرب، سعى الباحثون إلى تطويرها ففي كل بحث تتوسع المفاهيم وتظهر آفاق جديدة؛ فبعدما كانت جهود الباحثين تنصب على تجميع الكلمات ذات المعاني المتقارب فحسب؛ تطورت وصارت تضم الكلمات المترادفة والمتضاد وكانت بصمة خاصة به أضافها للمعاجم .

وأهم المعاجم التي ألّفها الغربيون في هذا المجال هي:

- « معجم الفرنسي بواسيير Boissiere المسمى: Dictionnaire analogique de la langue française وقد تم نشره سنة 1880.

1- زين كامل الخويسكي؛ لسانيات من اللسانيات؛ ط1؛ دار المعرفة الجامعية؛ الإسكندرية؛ 1997م؛ ص120-121.

2- أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص87.

- معجم الألماني دورتزايف Dornseiffعنوانه: Der deutsche Wortschatznach Sachgruppen ؛ الألماني اشتمل على عشرين حقلا دلاليا رئيسيا ظهر سنة1933.
- معجم الفرنسي ماكيه Maquet عنوانه: Dictionnaire Analogique الموسوم بالمعجم القياسي نشر سنة1936م.

- معجم كاسريرCassirer؛ الإسباني؛ ظهر في 1942م. » [1]

شكلت هذه الأعمال الدعامة الأساسية لنظرية الحقول الدلالية، وإن جاءت في وقت متأخر نوعا ما غير أنها تعد عمل دقيق له منهج و مبادئ وأسس قامت عليها، وما يميز هذه المحاولات الأوروبية الحديثة هو:

- « ضم جهود العلماء والباحثين وتعاونهم في عمل المعجم وإنهاء عصر العمل الفردي بعد أن صارت معجمة اللغات فناً ينوء بحمله الفريق فضلاً عن المؤلف الفرد.
- إقامة المعجم على أسس علمية منطقية، سواء في التصنيف، أو في تحديد أشكال العلاقات داخل الحقل المعجمي الواحد.
- تعميم الدراسة وشمولها عدداً من اللغات في وقت واحد. ولذا كانت دراسة الحقول في أول أمرها دراسة مقارنة. » [2]

غير أن هذه المميزات التي اتصفت بها الدراسات الغربية لا تنفي أسبقية العرب في مجال الأبحاث الدلالية واللغوية على حد سواء.

1-ينظر؛ أحمد عزوز؛ جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي؛ ص 80.

2- أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص110.

رابعا: مبادئ نظرية الحقول الدلالية

لقد أقام العلماء نظرية الحقول الدلالية على جملة من المبادئ الثابتة التي ينبغي مراعاتها أثناء تصنيف الكلمات داخل الحقول الدلالية؛ قد حصرها الباحث أحمد مختار عمر في أربعة نقاط هي:

1) « لا وحدة معجمية Lexème عضو في أكثر من حقل.
2) لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
3) لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
4) استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي. » [1]

فقد أشار في النقطة الأولى إلى أن الكلمة لا يمكنها أن تشغل مكانين في حقلين مختلفين و« من المهم ملاحظة أن الكلمة الواحدة لا تنتمي إلا لحقل فرعي واحد، فلا يجوز أن تظهر الكلمة الواحدة في حقلين » [2] إلا إذا كان الحقلين الدلاليين الذي وردت فيهما اللفظة حقلين رئيسيين؛ كونهما أوسع و أشمل، أما في النقطة الثانية فأشار إلى ميزة الكلمة فهي لا معنى لها خارج حقلها الدلالي« فلكل وحدة معجمية لا بد من توزيعها على حقل فرعي وإذا تبين أن كلمة ما لا يناسبها أي حقل، فهذا يدل على قصور في عدد الحقول وأنواعها، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في تفريع الحقول » [3]. ثم أكدّ على ضرورة ربط الكلمة بسياقها الذي أُنتجت فيه ليتضح معناها، فالسياق أو كما يسميه البلاغيين المقام هو الذي يحدد لنا الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه الوحدة المعجمية، وفي النقطة الأخيرة ربط الكلمة بتركيبها النحوي فالكلمة قد اشغل

1- أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص80.
2-محمد علي الخلوي؛ علم الدلالة (علم المعنى)؛ ص 179.
3-نفسه.

وظائف نحوية إما أن تقع اسما أو فعلا أو مفعولا وفي كل حالة يختلف معناها وباختلاف معناها يختلف الحقل الدلالي الذي تندرج فيه، كما أن الوحدة المعجمية لا يتضح معناها إلا من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى المتصلة بها وبالتالي يتضح الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه.

هذه أهم الأسس التي تقوم عليها نظرية الحقول الدلالية، غير أن من الباحثين المحدثين من أضاف عليها بعض النقاط، رغبة منهم في أن يجعلوها أكثر علمية وموضوعية، منهم الباحثة نادية رمضان النجار التي أضافت أسس أخرى منها:

1) « يمكن تقسيّم مفردات لغة ما إلى قطاعات أو حقول معجمية يمثل كل حقل تصوّرا أو مجالا دلاليا لخبرة من خبرات الحياة.
2) يمكن استخدام التحليل الدلالي لمعرفة الحقل الدلال الذي تنتمي إليه الكلمة وبيان العلاقة الدلالية بين كلمات الحقل.
3) التحليل الدلالي لكلمات الحقل يركز على الدلالة الأساسية للكلمات.
4) الكلمات التي لها أكثر من معنى تعامل على أنها كلمات مستقلة.
5) الكلمات داخل الحقل المعجمي ليست متناثرةــ ولكنها ترتبط معا بعلاقات دلالية رأسية وأفقية»[1].

تختلف هذه المبادئ من باحث لآخر ففي كل مرة يثري الدارسون هذا المجال بنظريات جديدة، نظرا لأن القضايا الدلالية مجال غني بالدراسات والأبحاث فهو علم يخضع لتطورات مستّجدة تواكب التطور العلمي والتكنولوجي ففي كل مرة تظهر دراسات جديدة تمتاز بالتعمق

1- نادية رمضان النجار؛ أبحاث دلالية ومعجمية؛ ط1؛ دار الوفاء؛ الإسكندرية؛ 2006م؛ ص163.

والازدواجية كونها جمع بين علمين علم الدلالة وعلم آخر وهذا ما يضفي حيوية لمجال البحث العلم.

الفصل الثاني

في تعالق الثنائيات الضدية بالحقول الدلالية في قصيدة الدر المنثور

المبحث الأول: التعريف بالقصيدة وصاحبها

1. التعريف بالشاعر:

- **اسمه، ولادته، شيوخه:**

الإمام عبد العزيز الدّيريني هو« عبد العزيز بن أحمد بن سعد، عز الدين الدميري المعروف بالدّيريني » [1] اشتهر باسم الديريني وعرف به وقد أطلق عليه نسبة للمكان الذي ولد به "نسبة إلى ديرين- وفي بلدة بمصر من أعمال الغربية » [2]اختُلف في تحديد زمن ميلاده ووردت عدة أقوال، جاء في طبقات الشافعية الكبرى أنه« ولد سنة 612 أو 613[3] وقيل« في حدود سنة 620 » [4] وقد تبنى هذا العالم مذهب الصوفية فهو « إمام صوفي وعالم وعامل، وأديب وعابد يمنه شامل، وزاهد يشار إليه بالأنامل، كان حسن الأقوال، جميل الصفات والأحوال، على المقامات، جلي الكرامات » [5] كان كثير التّرحال« ينتقل من بلد إلى بلد، ويقصد للزيارة من كل قطر وكان كلُ كتاب صنّفه في بلدٍ تركه فيها، ولا يحمله » [6] أخذ العلم عن مشايخ كثر « أخذ

1- صلاح الدين الصفدي؛ الوافي بالوفيات؛ تح: أيمن فؤاد؛ ط1؛ ج18؛ دار النشر: فرانز شتايزشيو تكارت؛ 1988م؛ ص468.

2-عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي؛ طبقات الشافعية؛ تح: كمال يوسف الحوت، ج1؛ ط1؛ دار الكتب العلمية؛ 1987م؛ ص569.

3- تاج الدين السبكي؛ طبقات الشافعية الكبرى؛ تح: محمود الطناجي و عبد الفتاح محمد الحلو؛ ج8؛ دار إحياء الكتب العربية؛ القاهرة؛ دت؛ ص199

4- عبد الله ابن أحمد المطري المدني؛ ذيل طبقات الفقهاء الشافعية؛ تح: أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد؛ طبع منسوب للعبادي؛ دط؛ دار الثقافة الدينية؛ القاهرة؛ دت ؛ ص99.

5-زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي؛ الكواكب الدرية في تراجم السّادة الصوفية؛ تح: محمد أديب الجادر؛ ج2؛ ط4؛ دار الصادر؛ بيروت؛ 1973م؛ ص445

6-محمد بن سعد؛ الطبقات الكبرى؛ تح: علي محمد عمر؛ مكتبة الخانجي القاهرة؛ بغداد؛ 2002م؛ ص290-291.

عن الشيخ عزّ الدّين بن عبد السّلام وغيره ممن عاصره؛ ثم صحب أبا الفتح بن أبي الغنائم الرسعني، وتخرّج به » [1]وقد جاء في مطلع إحداهما:

وهذه أرجوزة وجيزة ضمنتها المقاصد العزيزة

بذكر من بالعلم والصلاح بذا عليه عالم ولاح

ممن صحبت لرجاء النفع ولاجتماع الشمل يوم الجمع

مشايخ أئمة أبرار وإخوة أحبة أخيار

منهم سراج الدين عبد الله كنا بفضل علمه نباهي

صحبته سبع سنين أولا وكنت في خدمته مفضلا [2]

في أــرجوزته هذه ذكر جل المشايخ الذين أخذ منهم مختلف العلوم وصاحبهم طيلة مراحل تعلمه« وذكر الشيخ عبد الديريني قصيدة له لامية؛ بدأ فيها بحمد الله سبحانه وتعالى ثم {بالسلام} والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة–وخص منهم أربعة – ثم قال: والتابعين؛ وشيخنا البصري قدوتنا الإمام {الفاضل} الحسن الولي حبيب العجمي؛ هو ابن محمد من بعده في الصدق صافي المنهل » .[3]

في لاميته هذه ذكر جل المشايخ الذين تتلمذ على يدهم وخص بالذكر والثناء أربعة منهم الحسن الولي وحبيب العجمي وداود الطائي ومعروف الكرخي وغيرهم.

1–ابن العماد؛ شذرات الذهب ففي أخبار من ذهب؛ تح: محمود الأرناؤوط؛ ط1؛ مج7؛ دار ابن كثير؛ بيروت؛ 1991م؛ ص785.

2–ابن الملقن سراج الدين أبو حفص الأنصاري؛ طبقات الأولياء؛ تح: نور الدين شربيه؛ ط4؛ مكتبة الخانجي؛ مصر؛ 1994م؛ ص524–525.

3–ابن الملقن؛ طبقات الأولياء؛ ص521.

- **وفاته:**

لقد ذكرت تواريخ عدة في تحديد سنة وفاته منها:

- « في سنة 688ه.
- في سنة 689ه.
- في سنة 690ه.
- في سنة694ه. » [1] فكل هذه التواريخ على تقاربها إلا أنها لم تحدد سنة وفاته بدقة لتضارب الآراء فهناك من قال أنه توفي سنة:

- « 697ه سبع وتسعين وستمائة » [2] ومنهم من أضاف عشر سنوات مقارنة بالسنة الأولى التي حددت لوفاته، غير أن « القول المرجح من بين هذه الأقوال قول ابن الناس أنه توفي في سنه 688ه بحكم أنه عاصره ورآه في رحلته إلى دمنهور » .[3] وصاحب كل قول له حجته يثبت بها صدق قوله وسنده في تحديد سنة وفاة هذا العالم الذي خلف ورائه كمّا هائلا من المصنفات والأشعار والكتب التي لازالت لليوم محل للدراسة.

- **مؤلفاته:**

كان مشغوفا بالتأليف فأنتج العديد من الكتب والأشعار وجلها من كتب الدين؛ انتشرت أعماله في شتى أمصار البلدان وذلك لجودتها وكثرتها كما انه« كان من شأنه أن كل كتاب صنّفه في

1- عبد العزيز بن أحمد الديريني؛ قلادة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ تحقيق: عبد الحكيم أنيس؛ ط1؛ دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري؛ حكومة دبي؛ الإمارات؛ 2011م؛ ص41.

2-عبد الوهاب الشعراني؛ الطبقات الكبرى(لوائح الأنوار في طبقات الأخيار)؛ ج1؛ مطبعة العامرة الشرقية؛ مصر؛ 1315ه؛ ص172.

3- ينظر؛ عبد العزيز بن احمد الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص41.

بلد تركه فيها ولا يحمله» [1] فكان هذا سبب في ضياع بعض مؤلفاته ونسبتها لغيره، فكان عمله هذا نقطة ايجابية وسلبية في آن واحد، ومن أعماله التي وصلت إلينا نذكر:

- « إرشاد الحيارى في ردع من مارى في أدلة التوحيد، وردّ النصارى؛
- الأنوار الواضحة في معاني الفاتحة
- التيسير في علم التفسير
- نظم السيرة النبوية
- نظم غريب القرآن » .[2]

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى إذ عرف« بالمصنفات الكثيرة في التفسير والفقه واللغة والتصوف وغير ذلك وله نظم كثير شائع... » [3]، من بينها قصيدة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور التي ذكر فيها أشراط الساعة الصغرى والكبرى وهي مدونه هذا البحث.

2. التعريف بالقصيدة:

- **وصفها:**

الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور، من عنوانها يتّضح لقارئها فحوى ومضمون أبيتها؛ سماها الدرّ المنثور مشبها إياها بالجواهر النفيسة المبعثرة مما تضمنته من مواعظ وحقائق عن أهوال يوم القيامة من بعثٍ و حشر؛ وأخبار الغيبية مبثوثة في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وفي كتب التفسير وغيرها من كتب الدين، والتي جمعها عبد العزيز في منظومته هذه، والملاحظ أن الناظم عبد العزيز وضع لها عنوان على نفس أوزان القصيدة وكأن العنوان بيتٌ منها، سواء في الوزن أو في المعنى، تتألف من120 بيت ويختلف عدد أبياتها من نسخة لأخرى

1- زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي؛ الكواكب الدرية في تراجم السّادة الصوفية؛ ص445.
2- عبد العزيز بن احمد الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص31-37.
3-عبد الوهاب الشعراني؛ الطبقات الكبرى(لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)؛ ص172.

وعلى العموم فإن أبياتها تتراوح بين 119 و121 بيت؛ منظومة على أوزان البحر البسيط، تضمنت ثلاث مواضيع أساس هي:

- ✓ علامات الساعة الصغرى والكبرى.
- ✓ ما يتعلق بمواقف يوم القيامة.
- ✓ ما يتعلق بالجنة و النار.

استهل الناظم عبد العزيز الديريني قصيده بحمد الله والثناء عليه والصلاة والتسليم على نبيه المجتبى خير البشر، وعلى أصحابه رضوان الله عليهم. ثم انتقل من الاستفتاح إلى ذكر تقصير الإنسان وغفلته وحرصهم على الدّنيا؛ وخصّ نفسه بالتقصير والخطأ. ثم أخلص دعائه لله، وبعدها شرع في بيان أشراط الساعة الصغرى والكبرى، من العلامات الصغرى التي ذكرها: ظهور الفسق والمجاهرة بالمعاصي وانتشار البدع« وذكر من العلامات الكبرى خروج الدّجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة والخراب والخسف والزلازل، وخروج النار » [1] ، وفصّل الناظم في فتنة الدّجال وأبرز وصفاً له كما أشار إلى مدّة مكوثه في الأرض هي أربعين يوما، وبعد أن انتهى من ذكر علامات الساعة ذكر الموقف الأول وهو النفخ في الصّور نفخة الصعق ثم نفخة البعث مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّـهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[2] وتجلى هذا في قوله:

أربعون منَ الأعوام قد حبست نفخا تُبثُّ به الأرواح في الصّور[3]

1- عبد العزيز بن احمد الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص11.

2-سورة الزمر الآية 68.

3- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ 68.

قصد بها المدّة بين النفختين واختلف فيما إذا كانت أربعون يوما أو أربعون عاما، وحتى الناظم لم يفصل فيها وتوقف عند توقف نص الحديث، ثم انتقل إلى الموقف الثاني وهو البعث بين فيه صفة حشر النّاس وحالات ذلك، ليأتي بعدها أهوال المحشر يوم أنْ تَدنو الشمس من الخلائق، وما يصيبهم من همّ وكربٍ مما لا يطيقون ولا يحتملون، فإذا طال الموقف رجوا شفاعة الأنبياء، فيأتون أبوهم آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى وعيسى وجميعهم يردوهم، فترد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها وهي الشفاعة الكبرى، ثم عاد الناظم لوصف التغيرات في السماء والأرض والشمس والقمر والكواكب، وقال تعالى في هذا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)﴾[1]، ليفضي إلى ذكر موقف المحاسبة ووضع الموازين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)﴾[2] ثم ذكر أقسام الناس الثلاثة:

- من رجحت كفّة حسناته على سيئاته هم أهل الجنة.
- ومن رجحت كفّة سيئاته على حسناته وهم أهل النار.
- ومنهم من تساوت كفّتي ميزانهم هم أصحاب الأعراف.

بعدها ذكر موقف المرور على الصراط المستقيم وشفاعة المولى للمؤمنين الذين ارتكبوا المعاصي ثم استرسل في وصّف النار ودركاتها وملائكتها، وعذابها وأحوال داخِليها، بأسلوب سلس متدرج في الأحداث وفق التسلسل الزمني معتمدا في ذلك على مبدأ التقابل والتضاد في تصوير المشاهد؛ هذا ما خلق ثنائيات ضدية بنوعيها معنوية ولفظية فنجده بعد تقديم وصفٍ للنار

1- سورة إبراهيم؛ الآية 48 .

2- سورة الأنبياء؛ الآية 47.

أتبعه بوصف« الجنة، وأهلها، ونعيمها، وعددها وطبقاتها، وأنهارها، وحورها، وطعامها، وأفاض في وصفها وأحوالها، وشوّق إليها. وأثنى على أهلها بأسلوب فيه تحضيض على الاقتداء بهم » [1] وختم قصيدته بالذكر آلاء الله والثناء والابتهال له كما في مطلع القصيدة بمفردات بليغة، وجمالٍ في النظم، وجزالةٍ في التعبير، والتأثير« ونفاذٍ إلى القلب القارئ والسامع، وهذا يدل على صدق ناظمها وعمله بما عَلِمَ وإخلاصه فيما يقول وعون الله له » [2] وختمها بالصلاة على المختار سيد الخلق عليه الصلاة والسلام؛ وذكر عدد أبياتها .

- **نسخها:**

لقصيدة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور تسعة نسخ منشورة في أمصار البلدان وقد ذكرها عبد الحكيم أنيس في مطبوعته التي حققها إذ يقول:« وقفت لهذه القصيدة على تسع نسخ خطية نذكر منها:

1) نسخة خاصة، ضمن "خريدة العجائب.
2) نسخة في مكتبة الأزهر بالقاهرة برقم(23076)، ضمن "الخريدة" وتاريخ نسخها 1237ه.
3) نسخة في قونية بتركيا برقم (295)، ضمن "الخريدة".
4) نسخة في الظاهرية بدمشق ضمن مخطوط برقم (5983).
5) نسخة ثانية في الظاهرية برقم (3639) ضمن "الخريدة" وتاريخ نسخها 1020ه؛ وبعض هذه النسخ مستقلة وأخرى ملحقة بكتاب » [3].

أما توثيق نسبتها فقد أختلف فيه منهم من قال أنها لغير عبد العزيز الديريني ومنهم من أكد نسبتها له بدليل أنه ورد اسمه في أبياتها وهو الأرجح والأصح.

1- عبد العزيز بن احمد الديريني؛ قلادة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص12.
2-نفسه.
3- نفسه؛ ص13-16.

المبحث الثاني: الثنائية الضدية وأثرها في تشكل الحقول الدلالية في القصيدة:

1. الثنائية الضدية في القصيدة و تصنيفها:

ترد الثنائيات الضدية في الأشعار والنصوص بفعل التلقائية والعفوية بفضل ما يحدث داخلها من صراع الأفكار وتضاد المعاني، فنجد الشاعر يجسد هذه الصراعات بمقابلة معنى بآخر و شعور بشعور مناقض له، هذا ما يمنح النصوص الشعرية حيوية، وبه تبرز المعاني وتضفي جمالا على الإبداع الفني وكل هذا تجلى في قصيدة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور فهي تضج بالثنائيات الضدية نظرا لطبيعة موضوعها لأنه يصور مواقف متضادة ومعاني باستعمال ألفاظ متقابل وهذا ما أسفر عنه ظهور ثنائيات متضادة مضمرة أي تظهر من خلال نظرة كلية لمعاني القصيدة كثنائية (المشاهدة/التغييب) و(الخوف/الأمن) و(الحزن/السعادة) و(الخير/الشر) وثنائية (الأنا/الآخر) و(العذاب/النعيم) و(الحياة/الموت) و(الجنة/النار) ويكمن التضاد داخل هذه الثنائيات في المعاني التي تكتنفها والمواقف التي تصورها وتندرج تحت كل ثنائية معنوية مضمرة ثنائيات لفظية صريحة تتجسد بمقابلة لفظ بضده كثنائية(الجنة/النار) (الإيمان/الكفر)، (النور/الظلام) و(الصّفاء/الكدر) و(الطاعة/المعصية) و(المغفرة/العقاب) و(البشارة/الحصر) و(البرد/الحرّ) و(الحقّ/الإفك) و(الخلود/الفناء) و(الطول/القصر) و(الارتفاع/ الانحدار) و(ظالم/مظلوم) و(البادية/الحضر) و(الرّضا/ الغضب) و(ورد/صدر) و(الجدب/الخصب) و(اللّين/الوعر) وقوله (ردّهم/ لبّاها)، (مستتر/غير مستتر) و(معتبر/غير معتبر) و(سكرٍ/بلا سكرِ) و(منحصر/بلا حصر) و(منحصر/غير منحصر) و(صدرٌ/بلا صدرِ) و(كدرٍ/بلا كدرِ) و(جوع/لا جوع) و(بردٌ/لا برد) و(غِيَرِ/بلا غِيَرِ).

بعد ما الإشارة إلى الثنائيات الضدية الحاضرة في القصيدة نشرح الثنائيات الضدية التي قامت على أساسها القصيدة وشكلت محورا لمضمونها نذكر ثنائية:

- **الأنا/ الآخر:**

تتجلى هذه الثنائية في أسلوب الناظم نجده تارة يتحدث عن ذاته بوصف حاله وضعفه وتقصيره وقلة حيلته الندم والحصّرة موظفا ضمير المتكلم المقدر(أنا) في قوله (أشكو) وياء النسبة في قوله (عزمي؛ عمري؛ ميلي؛ لي) إذ يقول:

أشكو إليك أمورًا أنتَ تعلمُها *** فُتُورَ عزمي وما فرّطتُ في عمُري

وفرط ميلي إلى الدنيا وقد حسَرتْ *** عن ساعد الغدر في الآصال والبُكَرِ

يا ربنا جُدْ بتوفيقٍ ومغْفِرَةٍ *** وحسنِ عاقبةٍ في الوردِ والصدَرِ[1]

في مقابل ذلك ذكر أحوال الناس وغفلتهم بسعيهم الحثيث للدنيا وملذاتها موظفا ضمير الغائب في صيغة الجمع (هُمْ) بقوله:

قد أصبح الخلقُ في خوفٍ وذعرٍ *** وزور لهوٍ وهُم في أعظم الخطرِ[2]

فتجسد الثنائية الضدية (الأنا/الآخر) في عمق المعنى والتدرج في السياق إذ انتقل من ذكر نفسه وتقصيرها إلى ذكر أحوال الناس وغفلتهم، مستعملا صيغة المتكلم للدلالة على ذاته وصيغة الغائب (هم) للدلالة على الآخر، وفي موقف أخر قلب التصوير فانتقل من ذكر موقف الآخرين وأحوال الصاحين الذين زهدوا عن الدنيا وملذاتها، موظفا ضمير الغائب (هُمْ) المستتر في كلمة (نظروا؛ كابدوا؛ لازموا؛ قُوَّتهم) ليصل إلى ذاته بذكر اسمه و تجلى ذلك في ختام القصيدة بقوله:

1-عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص62.

2- نفسه؛ ص62.

لله قومٌ أطاعوه وما قصدوا *** سواه إذ نظروا الأكوانَ بالغيرِ

وكابدوا الشوق والأذكار قُوَّتهم *** ولازموا الجدَّ في الإدلاجِ والبُكَرِ

ويا مالكَ الملك جُدْ لي بالرّضي كَرَماً *** فأنتَ لي مُحْسِنٌ في سائرِ العُمُرِ

(عبد العزيز) يرجِّي العفوَ مفتَقراً *** وباب جودِكَ ملجا كلِّ مفتقرِ[1]

وفي خضم هذا التحولات السياقية في الأسلوب التي وظفها الناظم من خلال انتقال من صيغة المفرد المتكلم لصيغة الجمع الغائب داخل هذه الثنائية المضمرة برزت داخلها ثنائيات لفظية صريحة نتيجة تقابل المعاني وتعاقب الصورّ الفنية داخلها منها ثنائية: (الآصال/البكر) وهما لفظتان متضادتان أولهما الآصال وهي« جمع أصيل: العشي، وهو ما بعد صلات العصر إلى المغرب"[2] أما الطرف الثاني من الثنائية فهي "جمع بكرة، وهي الغدوة » [3] وكذلك ثنائية (الإدلاجِ /البُكَرِ) فهي ثنائية تدل على زمنين مختلفين الإدلاج هو آخر الليل والإبكار أول النهار وكلا الثنائيتين تدلان على الزمن، أما ثنائية (الوِرْد/الصَدَرُ) فهما حالين متضادين « وَروَدَ يَرِدُ بالكسرِ وُرُودًا حَضَرَ» [4]أما الفعل صدر فيقال "أصدره فصدر أي رجعه فرجع"[5] ، فهو يعني الرجوع وضده الحضور.

- **المشاهدة / التغييب:**

1- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص86.

2-أحمد ابن محمد الفيومي؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير؛ تح: عبد العظيم الشناوي؛ ط2؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ دت؛ ص16.

3- ابن منظور؛ لسان العرب؛ ص131.

4-محمد بن عبد القادر الرازي؛ مختار الصحاح؛ تح: محمود خاطر؛ ط1؛ ج1؛ المطبعة الكلية؛ مصر؛ 1329ه؛ ص130.

5- نفسه؛ ص178.

تبلورت هذه الثنائية الضدية المعنوية في ذكر الناظم لأشراط الساعة الصغرى والكبرى والتي شكلت لبّ القصيدة وجوهرها ولقد برز التضاد في محورين اثنين أحدها علامات السّاعة التي ظهرت في الدنيا وعاينها الإنسان فجسدت الشطر الأول من **الثنائية(المشاهدة)** وتمثلت في ضياع الأمانات وانتشار الفساد والبغي والتطفيف في الميزان وقد صور الشاعر كل هذه العلامات في قوله:

وللقيامةِ أشراطٌ وقد ظهرتْ *** بعضُ العلاماتِ، والباقي على الأثرِ

قلَّ الوفاءُ فلا عهدٌ ولا ذِمَمٌ *** واستحكم الجهلُ في البادين والحَضَرِ

باعوا لأديانهم بالبخس من سُحُتٍ *** وأظهروا الفسقَ بالعدوان والأشرِ

وجاهروا بالمعاصي وارتضوا بِدَعاً *** عمَّتْ، فصاحبُها يمشي بلا حذرِ

وطالب الحقِّ بين الناس مستترٌ *** وصاحبُ الإفْكِ فيهم غيرُ مستترِ

والوزن بالميل والأهواء معتبرٌ *** والوزنُ بالحقِّ فيهم غيرُ معتبَرِ

وقد بدا النقصُ في الإسلام مشتهراً *** وبدِّلت صفوةُ الخيرات بالكدرِ[1]

في هذه الأبيات ذكر بعض العلامات الصغرى لقيام الساعة في نظم بديع تجلى فيه صراع بين المتضادات مستعملا ثنائيات متضادة لفظية صريحة جست المعاني و صورتّ المشاهد أيما تصوير مضفية جمالا فنيا على النّظم انسجاما للقصيدة وإيقاعا متناغما منها: (البادين/الحَضرِ) (العدوان/الحق)، (صفوةُ/الكدرِ) و(الوفاء/فلا عهدٌ) و(مستترِ/غير مستترِ) و(معتبرِ/غير معتبرِ).

أما المحور الثاني من **الثنائية (التغييب)** فقد برز في الأحداث الغيبية التي نؤمن بحدوثها لورودها في القرآن والسنة ولم تقع بعد في من المسلمات الغيبية؛ فتجلت الثنائية في تقابلٍ بين

1- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص63-64.

معاينة للوقائع وبين تسليم بما هو آت من وقائع غيبية مستعملا إشارات دلالية تدل على زمن المستقبل كقوله(سوف؛ فيبعث؛ حين ترى؛ فعند ذلك؛ تذهب).

في قوله:

وسوف يخرج دجالُ الضلالةِ في *** هَرْجٍ وقحطٍ كما قد جاء في الخَبَرِ

ويدَّعي أنه ربُّ العباد، وهل *** تخفى صفاتُ كَذوبٍ ظاهرِ العَوَرِ؟[1]

وقوله:

فيبعث الله عيسى يقيم الحقَّ متَّبِعاً *** شريعةَ المصطفى المختارِ من مُضَرِ[2]

وقوله:

وجيشُ يأجوجَ مع مأجوجَ قد خرجوا *** والبغيُ عمَّ بسيلٍ غير منهمرِ[3]

وقوله:

والشمسُ حين تُرى في الغرب طالعةٌ **** طلوعُها آيةٌ من أعظم الكبرِ

فعند ذلك لا إيمانَ يُقْبَلُ مِنَ *** أهلِ الجحود ولا عذرٌ لمعتذرِ

ودابةٌ في وجوه المؤمنين لها *** وَسْمٌ مِنَ النُّور، والكفارِ بالقَتَرِ

والخُلف هل فتنة الدجال قبلها *** أو بعدُ؟ قد وَرَدَ القولانِ في الخبرِ

من خرابٍ وكم من خسفٍ وزلزلةٍ *** وفيحِ نارٍ وآياتٍ من النُّذُرِ

ونفخةٌ تُذهب الأرواحَ شدَّتُها *** إلا الذين عُنوا في سورة الزُّمرِ[4]

1-عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص64.

2- نفسه؛ ص65.

3- نفسه؛ ص66.

4-نفسه.

في خضمّ هذه الثنائية الضدّية المعنوية المضمرة ثنائيات ضدية وردت باللفظ الصريح إما في شكل طباق أو غيره من خلال تقابل كلمتين متضادتين أوردها الناظم بصفة عفوية خادمة للثنائية الرئيسة **(المشاهدة/التغييب)** منها ثنائية (تخفى/ ظاهرِ) وهنا جمع بين كلمتين متضادتين في بيت واحد وهما الشيء الخفي والشيء الظاهر البديّ، وقوله أيضا(الطولِ/القصرِ) و(يعضُدهُ/ يمحَقُ) وهي ثنائية جمعت فعلين متناقضين، (المؤمنون/الكفارِ) وما يماثلها في المعنى ثنائية (النور/القتر) لحملهما لنفس الدلالة فالمؤمن يحمل نور الإيمان في قلبه والكافر له قترٌ في قلبه، فهما مدلولات لدلالة واحدة.

ومن الثنائيات أيضا: (سكرا/بلاسكر)؛ (حُبستْ/ تُبثُ) في وصفه لحالة الأرواح في نفخة الصرع ونفخة البعث، وفي وصفه لأحوال حشر الأجسام قال(مشاةُ/ركبانُ) وسترسل في تصوير المشاهد مبرزا تقابل الأحداث وتناقضها فيذكر طرفا ثم يتبعه بما يناقضه فيظهر المعنى الخفي ويفهم بها المعنى الظاهر البدّي.

- **العذاب/النعيم:**

يتخلل وصف موقفي العذاب والنعيم عدد من الثنائيات التي تخلقها الصراعات والتقابلات بين الكلمات والمواقف، ويتجلى ذلك من خلال وصفه لثواب المؤمنين وما يلاقونه من بشائر وكرامات في مقابل ذلك تصوره لمشاهد العذاب وجزاء الكافرين وما يلاقونه من ذل ومهانة وحساب، كل هذا بأسلوب سلس فيه التّدرج والانتقال من موقف لآخر مستغلاً الثنائيات الضدية في سدّ الفجوات بينها فخلق ذلك صوراً فنية متضادة، إذ ظهر أحد طرفي الثنائية(التعذيب) في قوله:

فيها الغُسَاقُ الشديدُ البردِ يقطعُهم*** –إذا استغاثوا– بحرٍّ ثمَّ مستعرِ

فيها السلاسلُ والأغلالُ تجمعُهم *** مع الشياطين قَسراً جَمْعُ منقهرِ

فيها العقاربُ والحيّاتُ قد جُمِعتْ *** جلودُهُم كالبغال الدُّهم والحُمرِ

والجوعُ والعطشُ المُضْنِي ولا نفَسٌ *** فيها ولا جَلَدُ فيها لمصطبرِ[1]

وفي قوله:

لهم طعامٌ من الزقُّوم يَعْلَقُ في *** حلوقِهم شوكُه كالصَّاب والصّبَرِ

يا ويلَهم عضّت النيرانُ أعظمَهُم *** فالموتُ شهوتُهم من شدَّة الضجرِ

وكلّ يومٍ لهم في طول مدّتهم *** نوعٌ شديدٌ من التعذيب والسُّعُرِ[2]

صورت هذه الأبيات أحوال أهل النار من تعذيب وجوع وحرقٍ، بأسلوب أبدى به الشاعر صدق الوصف والإحساس وكأنه عايش الموقف ثم انتقل بسلاسة لتصّويرِ أحوال أهل الجنة دون أيما انقطاع أو خلل في القصيدة أو في تسلسل أحداثها وتدرج مجرياتها تجسدت في بيت واحد فقط به فصل بين الموقفين المتضادين هو قوله:

كم من دارِ هوانٍ لا انقضاء لها *** ودارِ أمنٍ وخلدٍ دائمِ الدَّهَرِ[3]

ومن جمال نظمه أنّ ذاتَ البيت حوا ثنائية متضادة صريحة منها: (هوانٍ/أمنٍ)، (لا انقضاء/دائمِ) فلا يكاد يخلوا بيت إلا وفيه تضاد بين كلماته ناهيك عن تضاد المعاني داخله والتي تتشكل بوصف المواقف من ذلك ما ظهر في مقابلته بين موقف أهل الجحيم وأهل النعيم، فبعدما وصف العذاب استرسل في وصف جزاء أهل الإيمان.

ويتجلى ذلك في قوله:

دارُ النعيم وجنّاتُ الخلودِ لهم *** دارُ السلام لهم، مأمونةُ الغِيَرِ[4]

1–عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص77.

2– عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص78–79.

3–نفسه.

4–نفسه؛ ص80.

وقوله:

كلُ امرئٍ منهمُ يُعطى قوى مئةٍ *** في الأكل والشُّربِ والإفضا بلا خَوَرِ

طعامُهم رشحُ مسكٍ كلما عَرِقوا *** عادتْ بُطونهمُ في هضْم منضمرِ

لا جوعَ لا بردَ لا همٌّ ولا نَصَبٌ *** بل عيشهم عن جميعِ النائباتِ عري

فيها الوصائفُ والغِلمانُ تخدمُهم *** كلؤلؤٍ في كمال الحسنِ مُنْتَثِرُ

فيها عناءُ الجواري الغانياتِ لهم *** بأحسن الذكر للمولى مع السّمرِ

لباسُهم سندسٌ حلاّتُهم ذهبٌ *** ولؤلؤٌ ونعيمٌ غيرُ منحصرِ

ولهم من الله عطاءٌ لا نظيرَ له *** سماعُ تسليمهِ والفوزُ بالنَّظرِ[1]

تحت هذه الثنائية المعنوية الرئيسة تتكشف ثنائيات ضدية سياقية لفظية حاملة لبنى متضادة منها: (البرد/الحر)، (الزّقوم/رشحُ)، (قوى/خور)، (الموت/عيشهم)، (جمع/منتثر)، و(جوع/لا جوع) (نصب / لا نصب) (الوصائف/الجواري) بهذه التقابلات انحصرت وتجلت دلالة الثنائية الرئيسة في صورتها الكلية فأعطت للقصيدة« شعورا بالتوتر يتجلى في إطار الأطراف المتقابلة، فالشعرية تقوم على التوتر وسيؤثر هذا الأمر على المتلقي حين ينتقل بين المفارقات من مفارقة إلى أخرى، وهذه المفارقات قدمت في إطار فني جميل » [2] أظهر للقصيدة تكاملا و انسجاما.

- **النار/الجنة:**

الجنة والنار ثنائية شملت الوجود وفكر كل مسلم فهي غايته ومنتهاه ومآله، لهذا نجدلها ذكر كثير في أشعار العرب مستمدين وصفها من القرآن الكريم والسنّة، ومما ورد في ثنائية الجنة والنار في القرآن الكريم قوله الله تعالى في سورة الرعد ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ

1- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص83-85.

2-سمر ديوب؛ الثنائية الضدية دراسات في الشعر العربي القديم؛ ص23.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[1] وفي قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُ﴾[2]، ولا تكاد تخلو سورة في القرآن الكريم إلا و ذكرت فيها هذه الثنائية الضدية، أما في قصيدة الدر المنثور فقد تمثلت هذه الثنائية في وصف الشاعر لنار جهنم وطبقاتها وسعيرها بقوله:

والنارُ منزلُ أهلِ الكفر كلهمُ *** طباقُها سبعةُ مسودّةٌ الحُفرِ

جهنم ولظى والحَطمْ بينهما *** ثم السعيرُ وكلٌّ الهول في سقرِ

وتحت ذاك جحيمُ ثم هاويةٌ *** يُهوى بها أبدًا سُحقاً لمحتقرِ

في كل بابٍ عقوباتٌ مضاعفةٌ *** وكلٌّ واحدةٍ تسطو على النَّفَرِ

فيها غلاظ شداد من الملائكة *** قلوبهم شدةً أقوى من الحَجَرِ

سوداءٌ مظلمةٌ شعثاءُ موحِشَةٌ *** دهماءُ محرقةُ لواحةُ البشرِ[3]

وما يقابل هذا الوصف ذكر الجنة وما فيها من نعيم و عطاء ووصفه لمراتبها و بنائها ومن وصفه لها قوله:

جنَّاتُ عدنٍ لهم ما يشتهون بها *** في مق الصدق بين الروض والزّهرِ

بناؤُها فضةٌ قد زانها ذهبٌ *** وطينها المسكُ والحصبا من الدُّررِ

أوراقها ذهبٌ، منها الغُصونُ دنَتْ *** بكلِّ نوعٍ من الريحان والثمرِ

1-سورة الرعد؛ الآية 35.

2- سورة محمد؛ الآية 15.

3- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص75-76.

أوراقها حللٌ شفافةً خُلِقتْ *** واللؤلؤُ الرطبُ والمرجانُ في الشجرِ[1]

وفي وصفه لطبقاتها أنشد:

طباقُها درجاتٌ عدّها مئةٌ **** كل اثنين كبعد الأرض والقمرِ

أعلى منازلِها الفردوسُ عاليها *** عرشُ الإله فسلْ واطمعْ ولا تذرِ

أنهارها عسلٌ فيه شائبةٌ *** وخالص اللبن الجاري بلا كَدَرِ[2]

في هذه الأبيات قام الناظم بمقابلة صورتين متضادتين بطريقة فنية من خلال انتقاله في الوصف من الجزء للكل في تجسيده لأوصاف النار، إذ نجده انطلق من الجزء بذكره لدركات جهنم وما فيها ليصل في أخر التصوير إلى وصف نار جهنم بكلمات بليغة معبرة جامعة لكل الأوصاف التي سبق وأن ذكرها بثنائيات لفظيةٍ متضادة: (سوداءُ/ مظلمةٌ) فالسواد والظلام شبه قرينان لا ينفصلان فما كان أسودا فهو بالضرورة مظلم وما كان مظلم فهو أسود؛ وقوله: (شعثاءُ/ موحشةٌ) أما هذه الثنائية فهي متكاملة لكن ليس بشكل مباشر إنما في القاسم المشترك الخفي بينهما فالطرف الأول من الثنائية « من الفعل شعِثَ؛ يشعثُ؛ شعثاً؛ شعوثة؛ وشعِث الأمر: تفرق وانتشر "لمَّ الله شَعْثَهمْ": جمع شملهم وضمّ شتاتهم بعد تفرق » [3] ، أما الطرف الثاني(موحشة) فهي من الفعل:« وحشَ؛ يوحِشُ؛ وِحْشَة؛ والمفعول موحشٌ؛ والموحشُ{مفرد} اسم فاعل من أوحشَ هو فقر لا أنس فيه "صحراء موحشة "مخيفٌ زقاق "موحش" » [4] والقاسم المشترك هو الخوف و الضياع في الصفتين معا وكلاهما اجتمعتا في نار جهنم. أما قوله (دهماءُ/ محرقةُ) فهما صفتان متلاحقتان وجود أحدها يستدعي بالضرورة حضور الأخرى؛ لأن

1- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص80.

2- نفسه؛ ص81.

3- احمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص1204.

4- نفسه؛ ص 2413.

كلمة دهماء مؤنث للفعل أدهم و« أدهم الشيء: اسودّ شيئاً فشيئاً، صار لونه أسود تدريجياُ »[1]، وإذا ما اسودّت النار فذا دليل على شدّة حرّها و إحراقها.

- **الطاعة/المعصية:**

الخير والشر مبدآن تقوم على أساسهما النفس البشرية فكل إنسان بداخله داعِ الخير وداعِ الشرّ، فتارة يغلب الخير فيتجلى ذلك في عمل المرء للصالحات والحرص على الطاعات ، وتارة يغلب صوت الشر ويظهر ذلك في السلوك القبيح والعمل الدنيء ومعصية المولى القدير، وبين هذه وتلك تتراوح كفة ميزان العبد، فالطاعة والمعصية أساس يفصل به يوم القيامة أهل المعاصي يساقون إلى نار جهنم وأهل الطاعات يكرمون في جنة المأوى وفي هذا قال الشاعر:

والمسلمون إلى الميزان قد قُسموا *** ثلاثةً، فسمع تقسيم مختصرِ

ومذنب كثرت آثامه فله *** شَفَعٌ بأوزارهِ أو غفَرُ مغتفرِ

وواحد تساوتْ حالتاه، له ال *** أعرافُ حبسٌ وبين البِشْرِ والحَصَرِ[2]

أشار الناظم في هذا المقطع إلى ترتيب المسلمين وتفاوت درجاتهم فأعلاهم منزلة العابدون الذين رجحت كفة حسناتهم وأعمالهم، وبعدهم منزلة من غفر لهم ونالوا شفاعة الله ورسوله، وآخرهم منزلة من تساوت طاعته ومعصيته فهم من أصحاب الأعراف لا هم في الجنة ولا هم في النار حتى يقضي الله أمره، ومن الشواهد التي وظفها الديريني في قصيدته موظفا ثنائية المغفرة والذنب ما قاله في توبيخ نفسه لكثرة ذنوبها وتفريطها:

1- احمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص778.

2-عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص71-72.

وفرطَ ميلي إلى الدنيا وقد حسَرتْ *** عن ساعد الغدر في الآصال و البُكَرِ

يا ربنا جُدْ بتوفيقٍ ومغْفِرَةٍ *** وحسنِ عاقبةٍ في الوردِ والصدَرِ[1]

نلمس في هاذين البيتين مزجا بين مشاعر الندم والأمل اللذان أبداهما الشاعر، ندمٌ على التقصير والتفريط في الطاعة وأملٌ بمغفرة المولى القدير برفعه للدعاء والتضرع والابتهال لينال مغفرة الغفار.

وقد شغلت ثنائية الطاعة والمعصية كل مقاطع القصيدة من أول بيت لآخر نجدها مبثوثة في ثنايا الأبيات، أما التوظيف الفعلي الصرح لثنائية الطاعة والمعصية فقد ورد في قول الشاعر:

وجاهروا بالمعاصي وارتضوا بدعًا *** عمَّتْ، فصاحبها يمشي بلا حذرِ[2]

وضدّ هذا جاء في قوله:

لله قومٌ أطاعوه وما قصدوا *** سواه إذ نظروا الأكوانَ بالغيرِ

وكابدوا الشوق والأذكار قُوَّتهم *** ولازموا الجدَّ في الإدلاجِ والبُكَرِ[3]

في البيت الأول وصف حال العاصي المذنب متمم الوصف بعد ذلك بضده؛ بوصفه لأحوال العابدين الذين جاهدوا أنفسهم وصبروا في سبيل نيل رضا مولاهم.

مما يلاحظ في أسلوب الشاعر في توظيفه للثنائيات الضدية دقة انتقاءه للفظ الدقيق المعبر عن المعنى بصدق، محدثا تقابلات لفظية ومعنوية و كذلك قدرته اللّغوية في توظيف بعض ألفاظ القرآن الكريم وأحاديث نبوية بأسلوب خاص بنا عليه هيكل القصيدة وصاغ معانيها بنسيج مليء بالتقابلات وفق أسلوب فني.

1- عبد العزيز الديريني؛ قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ ص62.

2- نفسه؛ ص63.

3-نفسه؛ ص86.

2. الحقول الدلالية في القصيدة:

إن نظرية الحقول الدلالية تقوم على مبدأ تصنيف الكلمات وإدراجها تحت لفظ عام لوجود علاقات تجمع بين هذه الألفاظ؛ ثم يطلق عليها اسم الحقل الدلالي ولتكوين هذا الحقل وضع الدارسون خطوات وضوابط يجب مراعاتها عند توزيع الكلمات على الحقول الدلالية منها:« تحديد الحقول الدلالية الرئيسية كخطوة أولية يتم فيها وضع واختيار اللفظ العام للكلمات والمعنى الذي تصب فيه جلّ الألفاظ المراد تصنيفها» [1] بمعني تحديد الدلالة العامة للألفاظ المراد تصنيفها ووضع عنوان شامل لها، وبعدها« يتم تفرع الحقول الرئيسة إلى حقول فرعية كأن نضع حقل الموجودات كحقل رئيس تحته حقلان فرعيان هما حقل الموجودات الحية العاقلة و حقل الألفاظ الدّالة على الطبيعة وهكذا » [2] في هذه المرحلة يتم تصنيف الكلمات وفقا لمعانيها« يصبح لدينا عدد محدود من الحقول الدلالية الفرعية؛ لنشرع بعد ذلك بتوزيع الكلمات على هذه الحقول لا على الحقول الرئيسة؛ مع مراعاة أمور منها:

1) أن لا تبقى أي وحدة معجمية خارج عن التصنيف بل كل كلمة من توزيعها على حقل فرعي معين.

2) ألا تنتمي الكلمة إلى أكثر من حقل معجمي واحد » [3]

تعتبر هاتين النقطتين مهمتين في عملية التصنيف فلا وجود لمفردة لا تندرج تحت حقل معين لأنه لكل لفظ دلالة معنى خاص بها يضمن لها أماكن مختلفة داخل الحقول الدلالية الرئيسة؛ أما النقطة الثانية فتشير إلى أنّ الكلمة الواحدة لا تنتمي إلى أكثر من حقل واحد وهنا

1-محمد علي الخولي؛ علم الدلالة(علم المعنى)؛ ص178.

2-نفسه.

3-نفسه.

يقصد الحقول الفرعية لا الرئيسة لان الكلمة الواحدة يمكن أن نجدها في حقل الموجودات وحقل العلاقات في آن واحد كونهما حقلين رئيسيين.

وهذه العملية تختلف من باحث لآخر فكل حسب الحقل المراد دراسته لأن هذا العمل« يقوم على تصور ذاتي اعتباطي، بمعنى يختلف من باحث آخر، وهذا يعني أن التحديد يخضع لذاتية الباحث نفسه دون تدخل أي عامل موضوعي أو لساني بحث على عكس عملية تحيد الوحدات فهي مجال الإجراءات التجريبية فيها جانب من الموضوعية والعلمية وهذه الأخيرة تختلف أيضا من باحث لآخر » .[1]

وبما أن تصنيف الحقول قائم على مبدأ الاعتباطية والذاتية والمستند إلى طبيعة العينة المدروسة وما تحْويه من دلالات و ووحدات معجمية، فإننا في صدد تصنيف الوحدات المعجمية وتوزيعها على الحقول المعجمية في دراسة قصيدة الدرّ المنثور في ذكر البعث والنشور للإمام عبد العزيز الديريني مع شرحٍ لبعض المفردات ذات المعنى الخفي ليسهل تصنيفها داخل الحقول الدلالية، ومن الحقول التي برزت في القصيدة نذكر:

- **حقل الألفاظ الدّالة على الإنسان وما يتصل به:**

يتضمن هذا الحقل مجموعة الألفاظ الدالة على الإنسان وما يدلّ عليه، والمراد بها وجود كلمات مرادفة لها في المعنى وعلى العموم فان الكلمات التي تميزه و ينفرد بها كأن نقول: الإنس؛ البشر؛ الناس؛ الخلائق؛ العباد؛ القوم؛ أهل؛ وغيرها وهذه القصيدة شملتها كلها تقريبا فنجد الناظم ذكر:

1- ينظر؛ سالم علي بيدق؛ الحقول الدلالية ل(هل) في السياق القرآني؛ مجلة الجامعة الزاوية؛ العدد 12؛ 2010م؛ ص 90-91.

- **البرايا:** جمع مفردها برية وهي« خَلِيْقَةُ، خَلْقُ خلق الله البَرِيَةَ مِنْ عدمٍ... » [1] ، دلالة هذه الكلمة عامة تشمل الإنسان وغيره من المخلوقات الأخرى أطلقت بصفة الكلّ وأُريد بها الجزء أو البعض، وردت في مطلع القصيدة:

الله أعظمُ مما جالَ في الفكرِ *** وحُكمُهُ في البرايا حُكم مقتدرٍ[2]

- **البَشَرُ:** وتعني:« الإنسانُ ذكراً أو أُنثى، واحداً أو جمعاً، وقد يثنَّى، ويُجمع أبْشَاراً » [3] وهي لفظة عامة واسعة الدلالة لانّ لها معنى آخر هو الجلد في عبارة عن علاقة الجزء بالكل كون أن الجلد جزء من الإنسان يقال لها بشرةُ فعمة الدلالة لتشير للجسم ككل فنقول إنسان وردت في قوله:

يا ربِّ يا سمعَ الأصواتِ صلِّ على *** رسولك المجتبى مِنْ أطهر البشرِ[4]

- **الخلائقُ:** جمع خليقة وهي المخلوقات التي أوجدها الله و« خلق الله الشيء يخلقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن؛ والخَلْقُ يَكونُ المَصدَر والمَخْلوقَ... » [5] غير أن كلمة مخلوق يندرج فيها الإنسان وغير الإنسان لهذا جمعة كلمة مخلوق بمخلوقات دلالة على الكلّ وخلائق دلالة على الإنسان.جاءت في قوله:

محمد الهادي البشير هَدى *** كلَّ الخلائقِ بالآياتِ و السورِ[6]

1-أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص 180.

2عبد العزيز الديريني؛ ص61.

3- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص350.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص61.

5-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج10؛ ص85.

6-عبد العزيز الديريني؛ ص61.

- **العبادُ:** هي جمعُ كلمةِ عَبْدُ ونعني بها:« الإنسانُ حراً أو رقيقاً، وعبادُ الله : "مَخلوقَاتهُ الذين يعْبدُونَهُ » [1]، وهنا وسّع الدلالة لأن كلمة عباد شاملة للمسلمين وغير المسلمين فكلهم عبادٌ له، تنتمي هذه الكلمة إلى حق الدين أقرب من كونها لفظة عامة، وظّفها الناظم في قصيدته إذ قال:

ويدّعي أنه ربُّ العبادِ، وهل *** تخفى صفاتُ كَذُوبٍ ظاهرِ العَوَرِ[2]

- **أهلُ:** تطلق هذه اللفظة على الأقارب فهي تعني« أهْلُ الرَجُلِ وأَهلُ الدارِ وكَذلكَ الأهْلة » [3] أما في القصيدة فنسبها إلى صفة واستعملها مقرونة بكلمة أخرى للدلالة على معنى آخر غير صلة القرابة وإنما الانتساب إما للكفر أو للإيمان كأن يقول أهل الإيمان وأهل النعيم أو أهل الكفر وأهل البغي، وفي هذه الحالة انحصرت الدلالة لتدلّ على معنى محدد دون غيره، وقد تكرر ذكرها في القصيدة نذكر منها:

فيتبع الكاذب الباغي و يقتلُهُ *** ويمحقُ الله أهلَ البغي والضررِ[4]

وقوله:

فعند ذلك لا إيمان يُقبلُ مِنَ *** أهلِ الجحودِ ولا عذرٌ لمعتذرِ[5]

وقال:

والنارُ منزلُ أهلِ الكفر كلهمُ *** طباقها سبعةُ مسودّةُ الحُفَرِ[6]

1-احمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص1449.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص64.

3-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج11؛ ص28.

4- عبد العزيز الديريني؛ ص65.

5- ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج11؛ ؛ ص66.

6-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج11؛ ؛ ص75.

- **النّاسُ:** لفظة تدل على« اسم للجمعٌ من بَنِي آدمَ، مُفردهُ إنسٌ: البشرُ، كالإنسانِ الواحدِ إنْسِيٌّ جمعُها أنَاسِيٌّ، والأُنَاسٌ: الناسُ... » [1] أدرجها في قوله:

وطالب الحقِّ بين الناس مستترٌ *** وصاحبُ الإفك فيهم غيرُ مستترِ[2]

- **القومُ:** تعني«الجَماعَةٌ منَ الرِجَالِ والنِّساءِ معًا، أو الرِجَالُ خَاصَّةٌ، أو تدخُلُهُ النِّساءُ على تَبعِيةِ، ويُؤنثُ جمعهُ أقوامٌ » [3] ، وقد ذكرها الناظم في هذا البيت:

قومُ مشاةٌ وركبانٌ على نُجُبٍ *** عليهمُ حللٌ أبهى مِنَ الزَّهرِ[4]

- **نساءٌ:** جمعها نِسْوَةٌ وهي« جمعُ امْرَأَةٌ من غَيرِ لَفْظِهاَ » [5]، وأنشد في وصف نساء الجنة قائلا:

نساؤها المؤمناتُ الصابراتُ على *** حفظِ العهودِ مع الإملاق و الضررِ[6]

- **غلمانٌ:** جمع غُلاَمٌ «وهو الطارُّ الشارِبَ، والكَهلُ ضِدهُ، أو حِين يولدُ إلى أن يَشِبَّ، مؤنثهُ: غُلامةٌ ويطلق على الشّابِ العَرِيضُ المِرفَقِ الكَثيرٌ الشَّعْرِ » [7] مرّت هذه الوحدة المعجمية بمراحل ثلاث في أولها عاشت حضورا وقبولا واستعمالا فكانت حيّةً فم قلّ استعمالها إلى أن ماتت بدليل أن كان العرب أطلق هذه الكلمة على خدمهم في عصر الجاهلية ومجيء الإسلام انحصر استعمال هذه اللفظة بحكم انتهاء زمن العبودية، ثم

1- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص530-531.

2- عبد العزيز الديريني؛ ص64.

3- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1152.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص68.

5-أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص2207.

6-عبد العزيز الديريني؛ ص82.

7- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ؛ ص1143.

أصبحت تدلّ على السّن الشباب غير أن تداول هذه المفردة لم يعد حاضرا في وقتنا الحالي فأدى هذا إلى موتها وحلتّ مكانها كلمات أخرى .

- **الوَصَائِفُ:** جمعُ « وَصِيفٌ وهو الخَادِم، غُلَاماً كانَ أو جَارِيةٌ »[1] وهي كلمة مرادفة لكلمة غلمانٌ وقد جاءا ذكرهما في بيت واحد هو:

فيها الوصَائِفُ والغلمانُ تخدُمهم *** كلؤلؤٍ في كمال الحُسنِ مُنْتَثِرِ[2]

هذه أغلب الوحدات المعجمية التي استعملها الناظم للدلالية على كلمة إنسان في قصيدته، فتارة يوسع دلالتها لشمل الكلّ وتارة أخرى يضيق الدلالة لتنحصر في معنى واحد محدد حسب ما تقتضيه السياقات داخل القصيدة.

أما العلاقة السائد داخل هذا الحق هي علاقة اشتمال لأن الإنسان جزء من البرايا والبشر والخلائق والعباد والغلمان والوصائف وكذا النساء لأن المرأة إنسان غير أن الدلالة حصرت في جنس واحد دون غيره.

- **حقل الألفاظ الدالة على جسم الإنسان:**

يجمع هذا الحقل الكلمات الدالة على جسم الإنسان تحت علاقة الجزء من الكلّ، لكل واحدة منها وظيفة تخدم بها الجسم فتشكل بذلك جزءا منه، وعادة ما ولوج هذه الوحدات بطريقة عفوية تهبها الدلالة والسياقات الواردة داخل القصيدة نذكر البعض منها:

1- ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج16؛ ص83.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص83.

- **الوجهُ:** وهو«مسْتَقبَلُ كُلِ شَيءٍ جمعه: أوجُهُ ووجوهٌ وأَوجُوهٌ... » [1] وهو واجهة الإنسان ومقدمته جمع الله فيه محاسنه وله معاني كثيرة منها القِبلةُ بقولنا الوِجهةُ ويطلق على ما يصنع ماء المطر في الأرض حين يؤثر فيها.
- **الأمعاءُ:** وهي جمع معيّ و« المَعَي مِنْ أَعْفاجِ البَطْنِ » [2] ذكرت في سياق تعذيب الكافرين وما يلاقونه في نار جهنم وجحيمها إذ يقول:

فيها الجحيمُ مذيبٌ للوجوه مع ال *** أمعاء منْ شدّة الإحراق والشررِ[3]

- **الجِلدُ:** جاء بها بصيغة الجمع "جلودهم" وقد جاء في لسان العرب « الجِلْدةُ: الطائِفة من الجِلد، وأجلادُ الإنسانِ وتَجَاليدُهُ: جماعةُ شَخصهِ؛ وقِيلَ: جِسْمُهُ وَبَدَنُهُ وذلك للأنَ الجِلدَ مُحيطٌ بها » [4] وعادة ما تستعمل هذه اللفظة للدلالة على جلود الحيوانات أكثر من نسبتها للإنسان؛ لأن ما يطلق على الإنسان هي لفظة بشرةُ وليس جلد وقد أطلقها الشاعر على الكافرين، فشبه بشرة الكافرين بجلود البغال السوداء والحمراء بعد ما أحرقت في نار جهنم حيث قال:

فيها العقارب والحيّات قد جمعت *** جلودُهُم كالبغالِ الدّهمِ والحُمُرِ[5]

- **الأقدامُ:** جمع قَدَمٍ هو« ما يَطَأُ الأرضَ من رِجْلِ الإنسان، ويَعني الجانبُ السُفْليّ مِنَ القَدَمِ » [6] تستعمل هذه الكلمة للدلالة على معاني عدّة كأن نقول فلان له قدم سبق في هذا المجال بمعنى له الرّيادة والأفضلية أو كأن نقول زلتْ قدمٌ بعد ثبوتها للدلالة على المعصية

1–الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1255.
2– ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج15؛ ص287.
3–عبد العزيز الديريني؛ ص76.
4– ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج3؛ ص124.
5 –عيد العزيز الديريني؛ ص77.
6– أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص1785.

من عبدٍ تائبٍ، فنجدها في كل سياق تحمل دلالة مختلفة عن الأخرى أما في القصيدة فقصد بها معناها الظاهر الحقيقي لا المجازي.

- **النّاصيةُ:** وقد أوردها الناظم بصيغة الجمع "النّواصي" ولها جموعٌ آخر« نَواصٍ ونَاصِياتٌ وتَعني مُقَدِمَةُ الرَأسِ أما معَانيهَا المجَازية نَجِدْ القِيادَةُ و الشَرَفُ وغيرها » [1] وهنا "وظّفها في معناها الحقيقي وقد استلهم هذا الوصف من قوله تعالى ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[2] إذ يقول:

جمعُ النّواصي مع الأقدامِ صيّرهم *** كالقوس منحنيةً مِن شدّةِ الوَتَرِ[3]

- **الحلْقُ:** موضع الحلق هو الرقبة وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[4] تعد لفظة علمية أكبر من كونها أدبية تدرج في الأشعار فقد وردت من باب العفوية و مقتضى السياق هو الذي فرضها.

في قول الناظم:

لهم طعامٌ من الزقّومِ يَعْلقُ في *** حلوقهم شوكهُ كالصّابِ والصّبَرِ[5]

- **القلبُ:** جوهر الإنسان ومحركه فهو« مُضغة من الفُؤَادُ معلقةُ بالنياط » [6] والقلب محلُ لكل شيء إذا سلمَ سلِمَ باقي الجسم بإيمانه وخشوعه يهتدي المرء يكون تقيًا، أما إذا ظلّ القلب هلك المرء وفي هذا قال الناظم:

1- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص2223.

2- سورة الرحمن؛ الآية 41.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص78.

4- سورة الواقعة؛ الآية 83.

5-عبد العزيز الديريني؛ ص78.

6-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج1؛ ص687.

في كلّ عاصٍ له نفسٌ مُقصِّرةٌ *** وقلبهُ عن سوى الربِّ العظيم بريِ[1]

- **البطنُ:**هو « خِلاَفُ الظَهْرِ جمعهُ أبْطُنٌ وبُطُونٌ وبطْنَانٌ ودونَ القبيلةِ أو دونَ الفخذِ فوقَ المعارةِ وهو جَوفُ كل شَيءٍ » [2] جاء في قول الناظم:

طعامهم رشحُ مسكٍ كلما عرِقوا *** عادتْ بطونهمُ في هضْم مضمرِ[3]

في هذا البيت قدمّ انزياح إبداعي بتشبيهه البطن بالقضيب الضامر في رقتها وعدم اتساعها لتخلصها مما كان فيها برشحه مسك فقد استعمل الاقتباس في هذا من حديث النبوي الشريف ومعظم أبيات قصيدته اقتباسات من آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية.

هذه أغلب الوحدات المعجمية التي وظّفها في قصيدته للدلالة على جسم الإنسان استعملها بمعناها الحقيقي دون تكلف أو ابتذال في المعاني والتّصوير المجازي؛ تجمع بين هذه الوحدات المعجمية علاقة اشتمال بين لفظتي البطن والأمعاء كون موضع الأمعاء داخل البطن، أما لفظتي الأقدام والناصية فتجمعهما علاقة تضاد بحكم أن الناصية هي أعلى الأعلى عضو في الإنسان والأقدام أسفلها، أما لفظة الجلد في علاقة الجزء بالكل مع الأقدام والوجه، لأن البشرة تجدها في كل أعضاء الجسم بل تغطيه بالكامل.

- **حقل الألفاظ الدّالة على الطبيعة:**

- **الجبال:** جمع جبل وهو اسم « لكلِّ وتدٍ من أوتاد الأرضِ إذا عظُمَ أو طَالَ فأن انفرد فأَكِمةٌ أو قُنَّةٌ والجَمعُ أجبُلٌ وأجبالٌ وجِبالٌ » [4] وهنا وصف جبال الجنة وما فيها من نعيم بقوله:

1-عبد العزيز الديريني؛ ص73.

2- ينظر؛ الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1180.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص83.

4-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص974.

والكلّ تحت جبال المسكِ منبعها *** يُجرونهُ كيف شاءوا غير محتجرِ[1]

- **الأرض:** اسم مؤنثٌ وهو« أسفلُ قَوائمِ الدَّبَةِ ، وكلُ مَا سَفَلَ... » [2] وقد وردت في قوله:

والأرض قد بدّلت بيضاء ليس لها *** خفضٌ ولا ملجأٌ يبدوا لمستتِر[3]

ذكر ما يحصل للأرض يوم العرض والحشر يوم تصبح الأرض مسطحةً، ومن جمال هذا البيت أنه حوا اقتباس من القرآن الكريم، مصداقًا لقوله تعالى { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[4] وظف معاني الآية الكريمة بأسلوبه الخاص أظهر به مقدرته اللغوية والشعرية.

- **السّماء:** هي« سَقْفُ كلِّ شَيءٍ وكلُّ بيتٍ تُذكر وتُؤنثُ والجمع أسْمِيَةٌ وسُمِيّ وسَمَواتٌ، وتُطلقُ على السَحَابِ والمَطَر » [5]، جاءت هذه اللفظة في المعنى المجازي إذ شبه السماء بالكتاب حذفه وأشار إليه بخاصية هي الطَيُّ اقتبس هذا التشبيه من قول الله عزّ وجل: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[6].

وقد وردت في قوله:

تُطوى السمواتُ والأملاك هابطةُ *** العبادِ لأمرٍ مُعَضِلٍ عَسر[7]

- **القمر:** من الكواكب ويسمى بدرُ حينما يكون مكتملا في منتصف الشهر ويسمى هلالٌ وهو« جرمٌ سَماويٌ صغيرٌ يَدورُ حولَ كوكَبِ أكبَرَ منهُ ويكونُ تَابعاً لهُ، ومنهُ القَمَرُ تابعٌ

1-عبد العزيز الديريني؛ ص82.

2- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص636.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص69.

4- سورة إبراهيم؛ الآية 48.

5-صالح سليمان الأحمد؛ المعجم الصافي في اللغة العربية؛ ص272.

6- سورة الأنبياء؛ الآية 104.

7-عبد العزيز الديريني؛ ص70.

للأرضِ. » .[1] به يُعقد الحساب مصداقا لقول المولى عزّ وجل: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون}.[2]

وردت هذه اللفظة في معناها المجازي إذ شبه النبي عليه الصلاة والسلام بالقمر ووجه الشبه بينهما أن القمر يأتي لينير ظلمة الليل وعتمته وكذلك مولده وبعثته صلّ الله عليه وسلم كان نورا بدّد الله به عتمة الجاهلية بنور الإسلام.

- **النجوم:**هي« الكَواكبُ جمعهٌ أنجمٌ وأنجامٌ و نُجومٌ و نُجُمٌ » [3] غير أن الناظم هنا أستعمل التشبيه البليغ في تشبيهه لالتفاف الصحابة رضوان الله عليهم حول النبي صلى الله عليه وسلم بالنجوم التي تُحيط بالقمر في عتمة الليل الحالك إذ يقول:

وآلهِ وعلى أصحابه فَهُمُ *** كأنجمِ حولَ مَنْ يسموا كالقمرِ[4]

نلاحظ أن الشاعر يمزج بين التوظيف الحقيقي والتوظيف المجازي للوحدات المعجمية، فنجد كلمة واحدة يستعملها في بمعنى تارة وتارة أخرى بمعناها الحقيقي ككلمة أنجم وظفها في التشبيه واستعملها بمعناها الحقيقي في قوله:

والشمس قد كورت والكتُبُ قد نشرتْ *** والأنجمُ إنكدرَتْ ناهيكَ عن كدَرِ[5]

- **الشّمس:** لفظة« مُؤنثةٌ جَمعُها شُموسُ، وضَربُ منَ المَشَطِ، وضَربٌ من القلائدِ، وصَنَمٌ قديمٌ و عَيْنُ ماءٍ » [6] ذكرت في أكثر من موضع في القصيدة تارة ذكرت كعلامة من

1-أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص1857.

2- سورة يونس؛ الآية 5.

3- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1161.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص62.

5-نفسه؛ ص70.

6- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص 552.

علامات الساعة الكبرى يوم طلوعها من المغرب وتارة ذكرت كنوع من العذاب في أرض المحشر فيقول:

والشمس قد أُدنيت والناسُ في عرقٍ *** وفي وحامٍ وفي كَرْبٍ وفي حَصَرِ[1]

- **الحجرُ:** جمعهُ«أحْجَارٌ وحِجَارةٌ وهو الصَّخْرُ الصغِيرُ، مَادةٌ صُلبةٌ تُتّخذُ مِنَ الجبال »[2] وتنحدرُ شبّه به الشاعر قلب خزنةِ جهنم ووجه الشبه بينهما قساواةُ كِليهما.

إذ يقول:

فيها غِلاظٌ شدادٌ من ملائكة *** قلوبهم أقوى من الحجَرِ[3]

- **الشجرُ:** مفرده شجرةٌ ويقال « شَجَرَ النباتُ: رَفْعَ ما تَدَلَّى مِنْ أغْصَانهِ »[4] وقد وردت في في قوله:

أوراقها حُلَلٌ شفافةً خُلِقتْ *** واللؤلؤ الرطبُ والمرجانُ في الشجَرِ[5]

ما يجمع هذه الكلمات هي علاقة الاشتمال، فالكون جامع لكل هذه الموجودات من شمس وقمر ونجوم والجبل، كما هو الحال بين لفظتي جبل وحجر فالحجر جزء من الجبل، وكذلك الأرض والشجر فالعلاقة علاقة الجزء بالكل، غير أن لفظتي القمر والشمس تكاد تكونان متضادان في دلالتهما الخفية لأن الشمس تطلع في النهار وبغروبها يظهر القمر في الليل فاجتماعهما أمرٌ مستحيلٌ وهذا حال المتناقضات والأضداد فحضور الشمس ينفي حضور القمر والعكس، وما يجمع هاتين اللفظتين علاقة تضاد.

1-عبد العزيز الديريني؛ ص68.

2- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص446.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص76.

4- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص 1166.

5-عبد العزيز الديريني؛ ص80.

- **حقل الألفاظ الدالة على الحيوان:**

يحوي الكلمات الدالة على أنواع الحيوانات المذكورة في القصيدة مع شرحٍ لمعانيها وتقديم بعض الوصف لها لتتجلى الدلالة ويتضح المعنى الذي به نحدد العلاقات التي تحكم الوحدات المعجمية داخل هذا الحقل، نلاحظ أن عددها قليل لهذا لا ينبغي تصنيفها إلى حقول فرعية إلى حيوانات زاحفة وأليفة وطائرة وإنما تعريفها يغني عن ذلك وأول ما ذكر هي:

- **دابة:**هي « مَا دَبَّ مِن الحَيوانِ، وغَلبَ على مَا يُركبُ، ويَقعُ على المُذكَرِ، ودَابةُ الأرضِ مِنْ أشرَاطِ السّاعَةِ أو أولُها، تَخرجُ بمكةٍ من جبَلِ الصفَا، يَنْصدِعُ لهَا، والناسُ سَائرُونَ مِنْ مِنَى أو الطّائِف أو من ثلاثِ أمكنةٍ ثلاثُ مراتٍ، معَها عَصَا مُوسى وخَاتَمُ سُليمان، عليهما السلامُ، تَضربُ المؤمنَ بالعصَا، وتَطبعُ وجهَ الكَافرِ بالخاتمِ » [1] بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[2] فهي دابة تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة الكبرى ولم يأت أي حديث يدل على كيفيتها أو على أي نوع هي وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس وإن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر به الله في كتابه وكذلك الناظم توقف حيث توقف معنى الآية فلم يقدم وصفا لها فقال:

ودابةُ في وجوه المؤمنين لها *** وَسَمٌ مِنَ النورِ، والفار بالقَتَرِ[3]

- **الُنجُبُ:** وهي« الإبِلُ والإبِلُ لاَ واحدَ له من لفظهِ وهي مُؤنثَةٌ » [4] لفظة قليلة الاستعمال والشائع هو كلمة الإبل غير أن الناظم أوردها ليترفع بها عن اللفظ البسيط فيقول:

1- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة ؛ ص82.

2- سورة النمل؛ الآية 82.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص 67.

4- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص5.

قومٌ مشاةٌ وركبانٌ على نُجُبِ *** عليهمُ حللٌ أبهى منَ الزَّهَرِ[1]

يظهر جمال هذا البيت في جمع لكلمتين متضادتين صوّر بهما كيفية حشر الناس يوم القيامة.

- **الطيْرُ:** جمع طَائِرٍ« وقدْ يَقَعُ على الواحدِ جَمْعُهُ طُيُورٌ وأطيَارٌ » [2] وهو حيوان ذو أجنحة أدرجه الناظم في قصيدته بغرض التشبيه، فشبّه المؤمنين حين عبورهم الصراط بالطير في سرعتهم وحدّة نظرهم لأن الصراط أدقّ من الشعرة أحدّ من السيف فيمرون عليه فمنهم من يمر كالبرق وقد ورد حديث عن النبي صلّ الله عليه وسلم ذكر أن المؤمنين على الصراط على أصناف كُلٌ على حسب أعماله وما عمله في حياته وقد وصف مرورهم فالمؤمن التقي يمر عليه كالبرق« ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطيرِ وشدّ الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد » [3] وأُختصر هذا الحديث في بيت واحد أورده عبد العزيز الداريني وما يدلّ هذا إلا على حنكته وعظم معرفته بالدين إذ قال:

والناسُ في وِرْدِهِ شتّى، فمستَبِق *** كالبرقِ والطَيرِ، أو الخيلِ في النظرِ[4]

- **الخيلُ:** تعني« الفرسان؛ وفي المحكم: جماعةُ الأفْرس لا وَاحِدَ لهُ من لَفظِهِ » [5] هو حيوان كانت صلتهُ وثيقة بالإنسان فأنشدوا فيه الأشعار منهم من ذهب في وصفه إلى أبعاد نفسية وأبعاد روحية وغيرها مستعملين المجاز في وصفه، في هذه القصيدة شبّه الناظم المؤمن بالخيل في سرعة مروره ودّقة نظره في عبوره للصراط .

1-عبد العزيز الديريني؛ ص68.

2- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ 432.

3-وحيد بن عبد السلام بالي؛ وصف الجنة والنار من صحيح السنة والأخبار؛ دار الكتب العلمية؛ ط1، بيروت؛ 2002م؛ ص 86.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص 63.

5-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ص231.

- **العقاربُ:** جمع« عقربٌ مؤنثه عقربةٌ وعَقْرَباءٌ وعَقْرَب وهي دُوَيبَّةٌ من العَنْكَبِيّاتْ ذَاتُ سُمٍّ تَلْسَعُ، وهي كلمةٌ تُطلقُ على مُؤنَثِهَا وذَكَرِهَا » .[1] وتستعمل في صيغة المجاز كأن نقول عقارب الساعة ويطلق على من يتّصف بالمكر والخداع.
- **حيّاتُ:** جمع حيّةٍ وهي حيوان « زَاحِفٌ مِنهَا أَنْواعٌ كثيرةٌ كالثُعْبَانُ والأَفْعَى، تُطلقُ هذهِ اللفظةُ على المُذَكَرِ والمُؤنثِ »[2] تعيش في المناطق شديدة الحرارة، وقد جعلها الله عذاب لأهل النار لشدّة باسها وإيذائها.
- **البغالُ:** مفرده بَغلٌ مُؤنثهُ بغلةُ وهو حيوان« أَهلِيُ للرُّكُوبِ والحَمْلُ، وبَغْلُ الجِسمُ: غلُظ وصَلُبَ حتى صَارَ كجِسْمِ البَغلِ »[3] شكلت في هذا البيت ركنا من أركان التشبيه وهو المشبه إذ شبه الناظم جلد الكافر وهو في نار جهنم بجلد البغال في سمكها وثخانتها لما لاقوا من حرّ نار السّموم حيث قال في هذا الصدد:

فيها العقاربُ والحيّاتُ قد جُمعتْ *** جلودُهُم كالبغال الدُّهم والحُمُرِ[4]

بيتٌ جمع ثلاث كلمات في حقل واحد تجمع بين كلمة الحيّات والعقارب علاقة الجزء بالكُلِّ وكذلك الأمر في كلمة دابة فهي تمثل الكُلّ الذي يجمع تحته النجبُ والبغال والخيل فكلها دواب.

- **حقل الألفاظ الدّالة على صفة الأرض:**

حقلٌ يجمع الكلمات التي تدل تصف سطح الأرض وحالها، كأن نقول: منحدرٌ أو مرتفعٌ أو سهلٌ أو رمالٌ أو منخفضٌ أو جدبٌ أو قحطٌ فكل هذه المفردات تبرز لنا هيئة الأرض استوائها وخصبتها، وأغلب هذه الألفاظ والأوصاف وردت في القصيدة نشرحُ بعض معانيها:

1- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص1529.

2- ينظر؛ نفسه؛ ص600.

3- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص229.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص 77.

- **خفضٌ:** من الفعلِ« خَفَضَ يخْفِضُ خَفضاً ويقالُ منخفضٌ أرضيٌ وهو مَوضِعٌ يَنْخفِضُ فيهِ سَطْحُ الأَرْضِ عَمَّا حَوْلَهُ مِنْ جِهَاتِ » [1] جاء به الشاعر ليصف استواء أرض المحشر فقال ليس لها خفض بمعنى أنها مسطحةٌ مستوية إذ قال:

والأرض بُدلتْ بيضاءَ ليس لها *** خفضٌ ولا ملجأٌ يبدوا لمستترِ[2]

- **قحطٌ:** مصدرُ قحِطَ يقال« أَقْحَطَ اللهُ الأرْضَ بمعنى أَيْبَسَ نبَاتَهَا وحَطَّمَهُ، ويقال أَقْحَطَ العَامُ أي احْتَبَسَ فِيهِ المَاءُ وأَجْدَبَ » [3]

وسوفَ يخرجُ دجالُ الضلالة في *** هرجٍ وقحطٍ كما قد جاء في الخبر[4]

- **مخصبةٌ:** من الفعل خَصَبَ و« الخِصْبُ بالكسرِ: كَثْرَةُ العُشْبِ؛ وفَاغَةُ العَيْشِ، وبَلَدٌ خِضْبٌ، بالكسرِ، وأخْصابٌ... » [5] فهي تربةٌ ينبتُ فيها العشبُ ويثمرُ الزَرعُ والثمرُ مصدرٌ لكسبِ المالِ ومَدَعَّةٌ للغنى لهذا ربط الشاعر الأرض الخصبة بزوال الفقر فيقول:

في أربعينَ من الأعوامِ مُخَصبةٍ *** فيكسبُ المالَ فيها كل مفتقرِ[6]

ففي البيت كناية عن الخير والأمن بعد قتل عيسى عليه السلام للدجال فتعم السكينة في ظل الإسلام تحت لواء روح القدس عليه السلام لمدة أربعين سنة.

1-ينظر؛ أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص670.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص69.

3- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص1777.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص64.

5-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص80 .

6-عبد العزيز الديريني؛ ص 65.

- **مربعٍ خضرٍ:** مرادفة لكلمة السَهْلٌ« والسَّهْلُ تُرَابُكَ الرَمل يَجيءُ به الماء، وأرضٌ سَهْلَةٌ: كَثيرةٌ السَّهْلة... » [1] ذكر هذا اللّفظ في قوله:

صلَّى الإلهُ عليهم دائماً أبداً *** ما اهتَزَّ غصنُ نقا في مربع خضرِ[2]

- **كثيبٌ:** جمعه« أكْثِبةٌ وكُثبانٌ وكُثبٌ وهو تلٌ أو مُرتَفعٌ مِنَ الرِّمَالِ كَوَمَتْهُ الرِيَاح في الصَّحَارِي أو على شَوَاطِئ المُحيطَات والبُحيْرَات » [3] مرادفه النقا وقد أوردها في نفس البيت حيث قال:

كأَنَّهُنَّ بدورٌ في غُصونِ نقا *** على كَثيبٍ بَدَتْ في ظُلمة الشَّعَر[4]

جمع هذا الحقل وحدات معجمية تختلف في الدلالة وما يخلق الانسجام بينها وجود علاقات دلالية تنحصر هذه العلاقات في كونها إما تضاد واشتمال أو علاقة الكل بالجزء، وما يكثر في هذا الحقل علاقة التضاد القائمة بين لفظتي: قحط و مخصبة فالأولى تدل على أرض لم تُأتي أُكلها أما دلالة الثانية فتشير إلى أن الأرض أنبتت وآتت أُكلها وأثمر زرعها، وكذلك نجد علاقة تضاد بين كثيبٌ وخفضُ فهما متضادان أحدهما ما برز على سطح الأرض والآخر ما غار فيها، أما العلاقة التي تجمع بين لفظة كثيب ولفظة النقا فهي علاقة اشتمال لأن النقا هو الرّمل وبتراكم الرمل يتشكل الكثيب.

1-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج11 ؛ ص349.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص 69.

3- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة ؛ ص1907.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص 82.

- **حقل الألفاظ الدّالة على حالة الشراب:**

- **محتجرِ:** منها الحَجْرُ« المَنْعُ كالحجرانِ، بالضمِ والكَسْرِ وحِضنُ الإنسَانِ، والحرامُ... » [1] فكل المعاني تدل على حبسِ الشيء والإحاطةِ به من كل الجهات وهو ضدُّ الجاري.
- **يجري:** فعل« مصدرهُ جَارِي والجَارِي مِنَ الأنْهَارِ الذِي لاَ يَجِفُ » [2] وهو انتقال الماء وعدم تحجره في مكان واحد وهي صفة ماء الجنة:

والكلُّ تحت جبالِ المسك منبعُها *** يُجرونهُ كيف شاءوا غير محتجرِ[3]

- **خالصُ:** مصدر خَلُصَ و« يقالُ خَلُصَ السَائلُ مِنَ الشَوائِبِ إذا صفَّا ممَا يَشُوبُهُ "خَلُصَ المَاءُ من العكَارة » [4] وتدل أيضا على الوفاء والصدقُ في الطاعة والعملِ.
- **شائبةُ:** هي«الشيء الغريبُ يخْتلِطُ بغَيرِهِ، ويقال: ما فيهِ شائبةٌ: ليس فيه شُبهةٌ، الدّنسُ والقَذَرُ ونحوِها » [5] وهي صفة تطلق على ما كان سائل غير صافي.
- **الكدرّ:** يقال« تَكَدرَ: نَقِيضِ الصفَا... والكُدورَة: في المَاءِ والعَينِ ... » [6] وتطلق على المعنى الحسي كالحُزنِ والقلق. إذ قال:

أنهارها عسلٌ ما فيه شائبةٌ *** خالصُ اللبن الجاري بلا كدرِ[7]

1-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص371.

2-جبران مسعود؛ الرائد؛ ط7؛ دار العلم للملايين؛ بيروت؛ 1992م؛ ص264.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص82.

4-أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص678. .

5- إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيره؛ المعجم الوسيط؛ ص499. .

6-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص468-469.

7-عبد العزيز الديريني؛ ص81.

- **الهَمْرُ:** مصدر هَمَرَ ويقالُ« هَمَرَ هُيَهمِرُ هُو يَهْمُرُهُ: صَبَّهُ، فضهَمرَ هو وانْهَمَرَ... » [1]

فهي خاصةُ بالسيلِ غير أنها وردت بمعنى المجاز في صيغة التشبيه إذ شبه فساد وظلم قوم يأجوج ومأجوج بمطرِ خفيفٍ غيرُ غازرٍ يقول:

وجيشُ يأجوجَ مع مأجوجَ قد خرجوا *** والبغيُ عمَّ بسيلٍ غير منهمرِ[2]

جمعت تحت هذا الحقل وحدات معجمية متضادة متقاطعة اللفظ والمعنى ظاهرة في النسق أظهرت تبايناً إبداعيا وجمالا شعرياً في وصف ما كان سائلا فنجد تضادا حاد بين كلمة يجري ومتحجر فهما وصفتان متضادتان الأولى تعني انتقال الماء من موضع لآخر أما الثانية فتعني انحباسه في مكان واحدٍ هذا ما يكون سببا لكدر الماء، في حين نجد صراعا بين الخُلوصُ مع الكدر والشائبة فالماء الخالص ما سلم من الشوائب والكدرِ في الأرض أما صفة الانهمار فهي خاصة بما ينزل من السماء من غيث، وما يجمع بين لفظة انهمر والألفاظ الأخرى هي علاقة التضاد الاتجاهي.

- **حقل الألفاظ الدّالة على الزمن:**

- **الآصالُ:** جمعٌ أصيلٌ ويَعني« أسْفَلَ الشَيءْ... وقد أَصُلَ، كَكَرُمَ، والَعَشْيُّ... » [3] والأصلُ ما كان ثابتاً راسخا وضده الفرعُ:

وفرط مَيلي إلى الدُنيا وقد حَسِرتْ *** عن سَاعدٍ الغَدرِ في الآصَالِ والبُكرِ[4]

1- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص498.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص66.

3- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص961.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص61,

- **السّحرُ:** مثل الصُّبحِ ويُقالُ« السَّحريَةُ وتَعنِي البيَاضَ الذي يَعلُوا السَّواد عِندَ بُزوغِ الفَجرِ فيكونُ الصُبحُ » [1] وقد ذكره بقوله:

ما هبَّ نشرُ صَبا واهتزَّ نبتُ رُبا *** وفاح طيبُ شذا في نسمةِ السّحَرِ[2]

- **الإدلاجُ:** مِنَ الفِعلِ أَدْلَجَ إِدْلاَجاً « السَّيْرُ من أَوَلِ الليلِ وقَد أَدْلَجُوا، فَإِن سَارُوا في آخِرِهِ » [3]، وضدُ الإبكارِ.

- **البكرُ:** جمعُ« بُكرةٍ وهي الغُدوة » [4] وهو أولُ الشَيءِ وأول النَّهارِ ويُقالُ أَبْكَرَ إلى الشيءِ أي استعجل وأسرَعَ إليهِ، وهو الوقت يَقرأُ فيه المؤمنينَ الأذْكارَ بعدَ صَلاةِ الصُّبحِ وفي هذا قال:

وكابدوا الشوقَ والأذكارُ قُوتُهم *** ولازموا الجدَّ في الإدلاجِ والبُكرِ[5]

- **شهرٌ:** الشّهُر:« العَالمُ، ومِثْلُهُ قُلاَمَةِ الظُفْرُ، والهِلاَلُ، والقَمَرُ أو هو إذا ظَهرَ وقَاربَ الكَمَالَ و العَددُ المَعْرُوفُ مِنَ الأَيامِ لأَنَهُ يُشْهَرُ بالقَمَرِ جمعه: أَشْهُرٌ و شُهورٌ » [6] منها ما يكون فيه ثلاثونَ يوما ومنها ما فيه تسعةٌ وعشرون يوما، وهي نوعان شهورٌ هجرية وأخرى ميلادية.

- **الليلٌ:** هو« من مَغْرِبِ الشَّمسِ إلى طُلوعِ الفَجرِ الصادِقِ أو الشّمس، جمعه: لَيَالٍ ولَيَائِلُ... » [7] والليلُ سورةٌ من سور القرآن الكريمِ، وتُطلقُ كنايةً عن اليومِ فيُقالٌ: ليلةُ القدرِ القدرِ وليلةُ العيدِ وتُستعملُ لعَدِّ الأيامِ مثلما قال الشاعر:

1- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص305.
2-عبد العزيز الديريني؛ ص87.
3- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص189. .
4- ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج2؛ ص131.
5- عبد العزيز الديريني؛ ص86.
6-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص421.
7- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1055.

شهرٌ وعشرُ ليالٍ طولُ مُدَّتهِ *** لكنها عجبٌ في الطولِ والقصَرِ[1]

- **العامّ:** جَمعهُ أعوامٌ وهو« السَّنةُ جمعه: أَعْوامٌ، وسِنُونَ عُوَّمٌ... » [2] وأربعون عاما التي ذكرها الناظم هي المُدَّة بينَ النفختينِ وفي هذا يقول:

وأربعونَ من الأعوام قد حبستْ *** نفخاً تُبَثُّ به الأرواحُ في الصُّور[3]

- **الدّهرُ:** يطلق على«. . . الزَّمَنِ الطَّويْلِ، والأمَدُ الممْدودُ، وأَلفُ سَنَةٍ، وتُفتَحُ الهاءُ جمعهُ: أَدْهُرٌ ودُهُورٌ والنَازِلَةُ والهِمْةُ والغَايةُ والعادَةُ الغَلَبَةُ » [4] ويُقدَرُ بألفِ سنةٍ وقيلَ أنه من أسماء أسماء الله الحسنى لما وردَ في الحديثِ القُدُسي (لاَ تَسُبوا الدَّهرَ فأني أنَا الدّهر) ويطلَقُ على الحَياةِ الدُّنيا ومدّة بَقائِها إلى زَوالِهَا. وهذه اللفظة جاءت في قول الناظم:

كم بين دار هوانٍ لا انقضاءَ لها *** ودارُ أمنٍ وخُلدٍ دائمٌ أبدا الدَّهَرِ[5]

- **الوقتُ:** هو « مِقدارٌ مِنَ الدَّهْرِ، وأكْثرُ مَا يُستَعمَلُ فِي المَاضِي، كالمِيقَاتِ، وتَحدِيدُ الأوقَاتِ » [6] فهو ما دلّ على الزّمن بشكلٍ مطلقٍ لا على وجه التحديدِ.

جاء في قوله:

وآمنوا واستقاموا مثلَ ما أُمروا *** واستغرقوا وقتَهم في الصومِ والسهرِ[7]

1-عبد العزيز الديريني؛ ص 65.

2- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1141.

3- عبد العزيز الديريني؛ ص68.

4-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص394.

5-عبد العزيز الديريني؛ ص79.

6- الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص162.

7-عبد العزيز الديريني؛ ص79.

- **المدّةُ:** جمعه « مِددٌ وهو ظَرْفُ زَمَانٍ فَهو يَدُلُّ عَلى مِقْدَارٌ مِنَ الزَّمَنِ طَالَ أو قَصُرَ » [1] ولبيان ذلك تُتْبَعُ هذه اللَّفظة بمُضافٍ إليه كأن يُقالَ سافرتُ مدةَ عامٍ/شهرٍ/أسبوعٍ مما يدل على قِصرها أو طُولها.
- **اليومُ:** وجمعهُ أيامٌ يبدأُ من « طُلوعِ الشَّمسِ إلى غروبهاَ وهو وحدةُ زمنية قدّرها العلماء بدوران الأرض على محورها مرة واحدةً أمام الشمس فينتج عن هذه الحركة تعاقب الليل والنهار في مدّة قدرت بأربعٍ وعشرين ساعة وذاك هو اليوم » [2] وفيه قال:

وكلُّ يومٍ لهم طولُ مُدّتهم *** نوعٌ شديدٌ من التعذيبِ والسُعرِ[3]

يعد هذا الحقل من الحقول الطاغية على القصيدة لورود مفردات كثيرة تشير إلى الزمن منها، تتصارع بعضها في المعنى وتتكامل أخرى مشكلة بذلك نشاطا وجمالا للقصيدة، والألفاظ التي تحكمها علاقة التضاد نجد: السّحرُ والإدلاج وبين الآصالِ والبُكرِ، وبين هذه الكلمات تخلق علاقة تماثل وتكامل لتقارب المعاني ولاسيما بين لفظة السَّحر والبُكَرِ فهما يحددان زمنين متعاقبين قريبين من مراحل بزوغ الفجر، وكذلك الحال بين لفظتي: الوقت والدَّهر لأنهما زمنين غير مُحددين فتجمعهما علاقة تماثلٍ، على عكس كلمة مُدّةُ فهي على النَّقيض منهما لأنها محددةُ إما قصيرةٌ أو طويلةٌ.

أما كلمة العام فهي تشملُ ما تبقى من مفردات لأنَّ الشهرَ جزءٌ من العامِ والليلُ من اليوم الذي به يكتمل العام، وخلاصة الأمر ما يجمع هذه الكلمات الثلاث علاقة الجزء بالكل.

1- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، ص2078.

2-ينظر؛ نفسه؛ ص2522.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص79.

- **الألفاظ الدّالة على الألوان:**

- **أسود:** من الفعل سود « مَا كَانَ لونُهُ السَّوادُ و الأسودُ : "الحَيَّةُ العَظِيمَةُ، والعُصْفُورُ، كالسَّوادَيّةُ، ومِنَ القَومِ، أَجْلَدَهُم. والأَسْوَدَانِ التّمرُ والمَاءُ، الحَيَّةُ والعَقْرَبُ » [1] ، أما الناظم فأطْلَقَ هذه الصّفةَ على نَارِ جَهنَّم نِسبةً للونِها أيضا فقال:

سوداءُ مظلمةٌ شعثاء موحشةٌ *** دهماءُ محرقةٌ لواحةٌ للبشرِ[2]

- **أبيض:** لون« وهو ضِدُّ الأَسْوَدِ، جَمعُه بِيْضٌ، أَصلُهُ: بُيْضٌ بالضمِ أبْدَلُوهُ بالكَسْرِ لِتَصِحَ اليَاءُ والسَّيفُ، والفِضَّةُ. . . والأَبْيَضَانِ: اللبَنُ والمَاءُ، أو الشَّحْمُ واللَبَنُ أو الشَّحْمُ والشَبَابُ أو الخُبْز والمَاءُ أو الحِنْطَةُ والمَاءُ. ومَا رَأيتَهُ مُذْ أبْيَضَانِ: مُذْ شَهْرَانِ أو يَومَانِ » [3] وفي هذا البيت أُطلقَت هذه الصفة على أرض المحشر التي يحشر فيها النَّاس فقال:

والأرض قد بُدِّلتْ بيضاءَ ليس لها *** خفضٌ ولا ملجأٌ يبدو لمستترِ[4]

- **أحمر:** هو « ما لَوَنُهُ الحُمْرَةُ، ومن لا سِلاحَ معهُ، جَمْعُهُما حُمْرٌ وحُمْرانٌ، وتَمْرٌ .... » [5] أما ورودُ هذه اللفظة في هذا البيت فهو للتشبيه إذ شبه الناظم جلود الكافرين وهم في النّار بجلود البغال الحمر وجه الشبهِ هنا أن كلاهما سميكةٌ وحَمراءَ اللونِ فجلود البِغال لتعرُضِها لأشِعة الشَّمس أما جُلود الكافرين فلاحتراقها في نَارِ جهنَّم وفي هذا يقول:

فيها العقاربُ والحيّاتُ قد جُمعتْ *** جلودُهُم كالبغال الدُّهم والحُمُرِ[6]

1-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص290.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص76.

3-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص638.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص69.

5-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص378.

6-عبد العزيز الديريني؛ ص77.

- **أخضر:** من الفعل خضر و« مصدرهُ خُضْرَةٌ خُضْرٌ وخُضرٌ، يقال خَضِرَ الزَرْعُ، كَفرحَ واخْضرَّ و اخْضَوضَرَ فهو أخْضَرٌ و خَضُورٌ و خَضِرَ » [1] جاء بها الناظم في قوله:

صلّى الإلهُ عليهم دائماً أبداً *** ما اهتزَّ غصنُ نقا في مربعٍ خضِرِ[2]

- **شفاف:** يعدُ من الألوانْ ويقال« الشّفُ، ويُكسرُ: الثَوبُ الرَّقيقُ؛ جمعه: شُفُوفُ وشَفٌ الثوبُ يَشُفُ شُفُوفًا وشَفيفًا: رَقَّ فحكى مَا تَحتَه » [3] ذكرت هذه اللفظة في وصف أوراق الجنة بأنها شبيهة بالحُللِ واللؤلؤ في جمالها، شفافةٌ يُرى ظاهِرُها من باطِنِها .

وفي ذلك يقول:

أوراقها حلَلٌ شفافةُ خُلقتْ *** واللؤلؤ الرطبُ والمرجانُ في الشجرِ[4]

هذا الحقل جمع الألوان الرئيسية هي الأسود والأخضر والأبيض والأحمر غير أنه لا علاقة تجمعها كلها إلا ما يجمع بين اللونين الأسود والأبيض كونهما متضادان، فهي علاقة تضاد.

- **الألفاظ الدّالة على الجنة:**

- **دارُ النَّعيمِ:** هي« الفردوسُ، مَقرُ الأبْرَار، فردوسُ النَعيمِ: اسمُ الجَنَةِ التي أسْكَنَهَا الله آدَمَ حَتَى عَصَى » [5] ، وهي مقام يكرم الله به المتقين.
- **جنة الخلد:** الجنّةُ كلمة مفردة جمعها« جَنّاتٌ أو جِنَانٌ وهي دَارُ النَّعيمِ»[6] وأما كلمة الخُلد فهي« مصدَرُ خلَدَ ... خُلودُ النَفسِ: بَقَائُها بعد فَناءِ البَدَنِ مع الاحتفَاظِ بخَصائِصِها

1-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص385.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص69.

3-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص825.

4-عبد العزيز الديريني؛ ص 80.

5-أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ ص2243.

6-نفسه؛ ص307.

ومُمَيزاَتِها الفرديَّةِ، ودارُ الخُلودِ: الجنة أو النار » [1] والمكان الأمين به الأنبياء والمرسلين وكل الصالحين.

- **دار السلام:** دارُ الله عزَّ وجَلَّ« ودارُ السلامِ: الجنةُ ونهرُ السلامِ دَجلةُ...» [2] والسَّلامُ احدُ أسماء الجنةِ ذكر الناظم هذه الثلاثة في بيت واحدٍ في بيتٍ واحد فقال:

دارُ النعيمِ وجنّاتُ الخلودِ لهم *** دارُ السلامِ لهم، مأمونةُ الغيَرِ[3]

- **جنة المأوى:** المَأْوَى مِنَ الفِعلِ أَوَى هو« كُلُ مَكَانٍ يَأوِي إليهِ شّيءُ لَيلاً أو نَهَاراً، وجَنَةُ المَأوىَ: قيلَ جَنَةُ المَبِيْتِ » [4] فيها يُأوي الله عباده الصالحين يتنعمون فيها من عطاء الله عزَّ عزَّ وجلَّ.

- **جنة عدنٍ:** الجنَّة هي« حَديْقَة ذَاتُ النّخْلِ والشَّجَرِ والبُسْتَانِ ودَارُ النَّعيمِ في الآخِرَةِ جمعها: جِنَانٌ » [5] وجمعها الناظم في بيت قصيدته:

وجنّةُ الخُلدِ والمأوى، وكم جَمَعتْ *** جنَّاتُ عدنٍ لهم مِنْ مُونِقٍ نَضِرِ[6]

- **دار الأمنِ:** من الفِعْلِ أمِنَ مصدره «الأَمْنُ والآمنُ، كصاحبِ: ضدُ الخَوفِ، أَمِنَ، كفَرِحَ أمنًا وأَمَانًا، بفتحهما، وأَمَنًا وأَمَنَةً... » [7]، إذ يقول:

كم بين دار هوانٍ لا انقضاءَ لها *** ودارُ أمنٍ وخُلدٍ دائمٌ أبدا الدَّهَرِ[8]

1-نفسه؛ ص677.

2-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1122.

3-عبد العزيز الديريني؛ ص80.

4-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج14؛ ص52.

5-إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيره؛ المعجم الوسيط؛ ص146.

6-عبد العزيز الديريني؛ ص81.

7-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1176.

8-عبد العزيز الديريني؛ ص79.

- **الفردوسُ:** كلمة مفردة جمعها« فَرَادِيس: بُسْتانُ، مَكَانٌ خَصِيبُ، اسمُ جَنَّة مِنْ أعْلَى جَنّاتِ النَعِيمِ في الآخِرَة، دَرَجَةٌ مِنَ دَرَجَاتِ الجَنَّةُ ... الفِردَوسُ الأعْلَى، الفِردَوسُ السَّمَاوي: مَسْكَنُ الأبْرَار والقديسين والصَالِحين بَعْدَ المَوتِ وفِردوسُ النَّعيمِ: اسمُ الجَنَّةِ التِي اسْكَنَهَا اللهُ آدمَ عليه السلام حَتَى أَثِمَ » .[1] وهي أعلى درجات الجنةِ كما قال الناظم:

أعلى منازلها الفردوسُ عاليها *** عرشُ الإله فَسَلْ واطمعْ ولا تذرِ[2]

ما يميز هذا الحقل أنه قائم على التماثل و تكامل لأن كل المعاني تصب في المعنى ذاته فهي عبارة عن مدلولات لدالٍ واحدٍ، فهي أسماءٌ الجنةْ وطبقاتها، وكلها جزءُ من الكلِّ الذي هو لفظة الجنة.

- **الألفاظ الدّالة على النار:**

- **جهنَّمُ:** هي اسم من« أسْمَاءِ النَّارِ وهي دَارُ العَقَارِبِ فِي الآخِرَةِ ... » [3] وهي مقام الكافرين الكافرين يوم القيامة.
- **سقرٌ:** اسم من الفعل« سَقَرَ، سُقْرًا: بَعُدَ، النَارُ أو الشمسُ فلانا: لَوَحَتْ جِلْدَهُ وغَيَّرَتْ لَونَهُ وآذَتْهُ وآلَمَتْهُ بِحَرِهَا. . . سَقَرُ: اسمٌ مِن أسْمَاءِ جَهَنَمَ» [4] وهي من دَرَكَاتِ النار يُجمع فيها المُجرمون.

1-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص1688.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص81.

3-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص415.

4-إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيره؛ المعجم الوسيط؛ ص452.

- **لظى:** اللَّظى: النّارُ وقِيلَ « اللَّهَبُ الخَالِصُ. . . ولَظَى: اسمٌ مِنْ أسْماءِ جَهَنَّمَ نَعُوذُ باللهِ مِنهَا، غَيرَ مصروف، وهي مُعَرفَةٌ لا تُنَوَّنْ ولاَ تنصرفُ للعلمية والتأْنيث، وسُمِيَتْ بذلكَ لأَنَهَا أَشَدُّ النِيرَانِ » [1] وهي أحد دركات النار التي يعذب داخلها أهل المعاصي.
- **السُّعيرُ:** من الفعل سَعَرَ وهي« النَّارُ ولَهَبُها، يقالُ: خَبَا سَعِيرُ النَّارِ » [2] وهي اسم من أسماءِ جَهنم.
- **الحطمةُ:** وهي«اسمٌ من أسماء جَهَنَّم، لأنها تُحَطِمُ ما تَلْقَى وتَذهبُ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾[3].

جهنم ولظى والحَطْم بينهما *** ثم السعيرُ وكلُّ الهولِ في سقرِ[4]

- **الهاويةُ:** من الفعل هوا وهي«اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَمْ، والهَاوِيَةُ، وهِي مُعَرِّفَةٌ بِغَيرِ ألفٍ ولاَمٍ، بِقَولِهِ عَزَ وجل: فَأُمُهُ هَاوِيَةٌ، أي مَسْكَنُهُ جَهَنَّمُ ومُسْتَقَرُهُ النَّارُ . . . والهَاوِيَةُ: كُلُ مَهواةٍ لا يُدركُ قَعْرُهَا » [5] وهي آخر دركات النَّارِ وأعمقها وأشدُّها.
- **الجحيمُ:** مِنَ الفِعلِ أَجْحَمَ وهي« اسْمٌ مِنْ أسْمَاءِ النَّارِ وكُلُ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مِهْوَاةٍ فَهِي جَحِيْمٌ » [6] وفيهما قال عبد العزيز:

وتحت ذاك جحيمٌ ثم هاويةٌ *** يُهوى بها أبداً سُحقًا لمحتقرِ[7]

1- إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيره؛ المعجم الوسيط؛ ص248.
2- نفسه؛ ص447.
3-الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ ص518.
4-عبد العزيز الديريني؛ ص75.
5-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج15؛ ص373.
6-ابن منظور؛ لسان العرب؛ ج12؛ ص84.
7-عبد العزيز الديريني؛ ص75.

- **دارُ الهَوانِ:** الهوان من الفعل« هَانَ هَوْنًا، بالضَمِ، وهَواناً ومهانة: ذَلَّ... » [1] وهو اسمٌ من أسماءِ جَهنَّم وقد جاءت في قول الناظم:

كم بين دار هوانٍ لا انقضاءَ لها *** ودارُ أمنٍ وخُلدٍ دائمٌ أبدا الدَّهَرِ[2]

جَمع في هذا الحقلِ أقسام جهنم السبعةِ باختلاف مراتبها وعذابها إلا أنها لا تنفك أن تكون بمعزل عن بعضها البعض الفوارق يسيرة خفيةُ يصعب تمييزها، والأمر الواضح الجليّ هو أنَّ ما يجمع هذه الوحدات المعجمية تحت حقل واحد هي علاقة اشتمال لأنَّ النّار تشملها كلها باختلافها.

3. علاقة الثنائيات بالحقول المهيمنة في القصيدة:

إنَّ الجدير بالملاحظة في الحقول الدلالية المهيمنة على القصيدة (الدُّر المنثور في ذكر البعث والنشور) احتوائها على العديد من الثنائيات الضدِّية، لأنَّ الناظم أعتمد على أسلوب التقابل في إبراز المعاني والصور الفنية فظهرت « لا تخرج هذه العلاقات في حقل معجمي عما يأتي: الترادف synonymy؛ الاشتمال أو التضمنhyponymy ؛ علاقة الجزء بالكل part-whole relation؛ التضاد antonymy؛ التنافر incompatibility » [3] وأحد هذه العلاقات التضاد فهو جزء من الكل، فالحقل هو الكلُّ كونه اشمل وأوسع من الثنائية الضدية القائمة، والتقابلات المتضاد داخله هي الجزء، ويمكن توضيح ذلك في شكل مخططات التالية:

1-الفيروز آبادي؛ القاموس؛ القاموس المحيط؛ ص1240.

2-عبد العزيز الديريني؛ ص79.

3-أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص98

- **حقل الألفاظ الدَّالة على الطبيعة:**

جمع هذا الحقل كلمات تشير إلى ما في الطبيعة من موجودات كالجبال والأرض والسماء والقمر والنجوم والشمس والحجر والشجر، ومن بين هذه المفردات ثنائيات ضدية نتجت عن تقابل بين المعاني منها:

ثنائية ضدِّية (الأرضُ/السَّماءُ)
- الأرضُ
- السَّماءُ

ثنائيةٌ جمعت بين شيئين متضادين في الاتجاه فالأرضُ ما كان مُنخفِضًا في موضعِ القدمِ والسَّماءُ من الفعل سمى يسموا أي ارتفع فهذه الثنائية في حالة تضاد يدعى تضادًا امتدادياً لأن كلاهما يقعان في خط واحد.

ثنائية ضدِّية (القمرُ/الشَّمسُ)
- القمرُ
- الشَّمسُ

القَمرُ والشَّمسُ كوكبانِ يتعاقبانِ أحدهما بلفظِ التأنيث والآخر بلفظ المذكر، يدوران وفق حركة كونية منتظمة فالشَّمس تَطلعُ في النهار والقمرُ يَبزغُ في الليلِ وهذا هو موضع التَّضادِ بينهما لاستحالة اجتماعهما في وقتٍ واحدٍ مع صعوبة تحدد أيهما الأسبق من الآخر لأن العلاقة التي تجمع بين الكلمات في التَّضاد الدائري ليست علاقة خطية.

- **حقل الألفاظ الدّالة على صفة الأرض:**

ضم هذا الحقل وحدات معجمية متقابلة تدل على صفة الأرض كخفض ومرتفع وهما صفتان تصفان شكل الأرض ومدى استوائها، أما لفظتي: القحط والخصب فتدلان على تربة الأرض وجودة محصولها.

ثنائية ضدّية (منخفضٌ/مرتفعٌ)
- خفضٌ
- مرتفعٌ

الانخفاض والارتفاعُ صفتان متضادتان تضادٌّ عكسيٌ.

ثنائية ضدّية (قحطٌ/خِصبٌ)
- قحطٌ
- مخصبةٌ

ثنائية بين (قحط/خصب) فالأرضُ قَحطُ نقيضها أرضٌ الخِصبةِ، لأنّ القحطُ علامة الموتِ والخصبُ علامةُ الحياةِ فهما منظران طبيعيان متضادان تضاد متدرج فالقحط والخصوبة تتفاوت من منطقة لأخرى حسب عواملها المناخية إذ يمكن أن نجد أرض لاهي قحط ولا هي خصبة لأنه« يمكن وضع التضاد المتدرج على مقياس متدرج يشمل إلى جانب التضاد المتطرف أزواجا من المتضادات الداخلية » [1] إذ يمكن وضع داخل الثنائية الرئيسة ثنائيات فرعية كأن نقول أرض معشبة وأرض جدباء فلاهي كثيرة العشب ولاهي صحراء.

1- أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ص103.

- **حقل الألفاظ الدّالة على حالة الشراب:**

- محتجر
- يجري

ثنائية ضدّية (متحجرٌ/جَاري)

ثنائية (متحجر/جاري) تجمع بين طرفيها علاقة تضاد عكسي لإمكانية وجود علاقة تبادلية بين الطرفين فالماء المتحجر يمكن أن يصبح جاري بفعل فاعل والماء الجاري يمكن أن يُحبسَ فيصبح متحجر بفعل عوامل مأثرة.

- خالص
- الكدر
- شائبة

ثنائية ضدّية (خالصٌ/متكدر) و(خالصٌ/شائبٌ)

تشكل هذه المفردات المعجمية تقابلات كل منها على طرفٍ نقيض من الآخر وفق تضادٍ متدرج؛ بمعنى أنَّ لكل كلمة قابلية التّدرج فالخلوص درجات والكدر درجات وللشوائب درجات في نسبةِ النقاء والصفاء.

- **حقل الألفاظ الدّالة على الزمن:**

- الآصال
- السَّحر

ثنائية ضدّية (الآصَالُ/السَّحر)

- البُكرُ
- الإدلاج

ثنائية ضدّية (البُكر/ الإدلاجُ)

حقلٌ جمع ألفاظ تدلُ على وقتٍ محدد من النّهار أو الليل فالآصال هو آخر النهار العشي والسَّحر هو أول النهار ويسمى الصُّبح وكذلك البُكرُ وهو وقتٌ يأتي بعد السَّحر يسمى بالغُدوة والإدلاج هو آخر الليل، فهي أزمنةُ متقاربةٌ متعاقبةُ لهذا نقول عنها أنَّها تخضع لعلاقة تضاد الامتدادي لأنَّ كل واحدٍ منها هو امتداد للآخر فالآصال هو امتداد للإدراج و البُكرُ امتداد للسَّحر وهكذا، في حين ما يَجمع بين طرفا الثنائيتين الضاديتين (الآصال/السَّحر) و(البُكر/الإدلاج) علاقة تضاد الدائري كونَها تتعاقب وتتناوب سواء كانت متقاربة أو متباعدة لأنَّ " العلاقة بين كل كلمة وما يليها في الدائرة هي علاقة تضاد دائري، وكذلك العلاقة بين كل كلمة وما قبلها مباشرة"[1] في شكل حقل مفرعة.

- **حقل الألفاظ الدَّالة على الألوان:**

ثنائية ضدِّية (أسودٌ/ أبيضٌ) ⟨ – أسود ، – أبيض

الأسودُ والأبيض صفتانِ تشكلان مثالا واضحًا للتَّضاد الحاد« والبعض يدعوه تضاد غير مدرج بسبب عدم قابلية الكلمات للتدرج والبعض الآخر يستعمل مصطلح التضاد الحقيقي لأنه أكثر تضاداً في حين يسميه البعض تضاد تكاملي بحضور أحدهما يُنفى الآخر »[2] فما كان أسودًا يستحيلُ أنْ يكون أبيضًا وما كان أبيضًا يستحيلُ أن يكون أسودًا في الوقتِ ذاتهِ.

قد تجاوزت العلاقة بين الثنائية الضدِّية والحقول الدلالية الجمع بين ألفاظ الحقل الواحد إلى الجمع بين حقلين كاملين متضادين ومثال حقل الألفاظ الدالة على أسماء الجنة وحقل الألفاظ

1–محمد علي الخولي؛ علم الدلالة (علم المعنى)؛ ص123.
2–نفسه؛ ص117.

الدالة على النار بين هذين الحقلين تضاد في المعاني وفي تضاد في المشاهد التي صورها كل حقل فمشاهد النعيم تتقابل مع مشاهد العذاب في شكل ثنائيات ضدية هي:

- **حقل الألفاظ الدَّالة على الجنَّة:** **حق الألفاظ الدَّالة على النَّار:**

- دارُ النَّعيم
- جنَّة الخُلد
- دارُ السلام
- جنَّة عدنٍ
- الفردوسُ
- دارُ الأمنِ

شكَّل هذين الحقلين ثنائية ضدية رئيسة هي **ثنائية (الجنَّة/النَّار)** تندَرجُ تحتها ثنائيات فرعية تَشكَّلت بتقابل وتضاد مفردات كل حقل بآخر منها: **(النَّعيمُ/الجحيمُ)؛ (دارُ السلامِ/دارُ/دارُ الهوان)** وفقَ علاقة التَّضاد حاد.

- جَهنَّم
- سَقرٌ
- لظَى
- الحُطمةُ
- السَّعيرُ
- الهاويةُ
- الجحيمُ
- دارُ الهَوان

ومما سبق يمكن القول أن التَّضاد حلقة وصلٍ مشتركة بين الثنائيات الضدية والحقول الدلالية لأنَّ الثنائيات الضدّية عبارة عن تقابلات بين المفردات المعجمية تتضاد في المعنى؛ ومعنى تتضاد أي لا تجتمع الصفتان معا في الشيء نفسه في الوقت ذاته فما كان أسودا لا يكون أبيض في آن واحد، أما التَّضاد في الحقول الدلالية فهو تلك العلاقة التي تشدُّ المفردات المعجمية إلى بعضها البعض فتشكل حقلا دلالياً لأن التضاد لا يكون إلا في أمران لهما بعض الخصائص المشتركة وإن كانت خفية وكذلك التضاد داخل النمط الثنائي« لأن منطق الثنائيات الضدّية يقوم على أنَّ الضدَّ يمكن أن يحمل شيئًا من خصائص ضده، فثنائية النور والظلام-على سبيل

المثال–أشد الثنائيات ظهورا في حياتنا، فثمة نور ساطع جدًا، وظلام شديد الظلمة، وكلاهما يحدث الأثر نفسه في العين، وهنا ينتفي التعارض بين النور والظلام، ويعني هذا الكلام أن في الظلام نوراً بطريقة ما أن في النور ظلاما بمعنى خاص » [1] أو كأن نقول الأسودُ ضدُّ الأبيض فهما متضادان وما يجمعهما أنَّ كلاهما لونٌ ويُشكلان ثنائية ضدّية ويندرجان ضمن حقل الألوان في حين لا يمكننا أن نقول أنَّ الأسودُ ضدُّ الصِّدق مثلا فلا وجود لشيء يجمعهما أو خاصية تشترك في كليهما وبالتالي لا يشكلان ثنائية ضدِّية ولا يضمهما حقل دلالي واحد.

ومن هذا التحليل نخلص إلى أنَّ الثنائيات الضدِّية علاقة تجمع بين مفردات الحقل الدلالي الواحد فهي متضمنة داخله، فالحقل الدلالي يمثل الكُل والثنائيات الضدية هي الجزء وإليها يعود فضل تشكل الحقول الدَّلالية.

1–سمر الدّيوب؛ الثنائية الضدية بحث في المصطلح ودلالته؛ ص44.

خلاصة:

من خلال هذه الدِّراسة التحليلية للقصيّدة نخلصُ إلى أن نظرية الثنائية الضدِّية ونظرية الحقول الدَّلالية نظريتان دلاليتان متكاملتان تحتوي إحداهما الأخرى، وذلك من خلال ما تُقدِّمه نظرية الحقول الدَّلالية من خدمات للُّغة العربية بإعداد قوائم لمفردات معجمية منظمة خاصة بكل موضوع؛ فيعطي ذلك للُّغةِ ميزة التعبيريَّة إذ يسهل انتقاء الألفاظ بدقَّة واستعمالها في مجالها وسياقها المحدد، أما الثنائية الضدِّية فتُسهم في الكَشف عن علاقة التّضاد بأنواعها بين الوحدات المعجمية داخل الحقول الدلالية وبذلك تنفي عنها الانعزالية و تجعلها متماسكة رغم تقابلها مضفيةً عليها حيوية وحركة دينامية بأسلوب فنِّي جمالي.

خاتمة

بعد هذه الصولة اللّغوية الأدبية بين أبيات القصيدة نذكر أهم النَّتائج المستخلصة من هذه الدِّراسة، ومنها ما يلي:

- ✓ تميزت قصيدة الدّر المنثور بعنوانها الذي جاء كمفتاح لمضمونها منسوجًا على منوال وإيقاع أبياتها مما خلق تناغمًا فريدًا وكأن العنوان بيت من أبياتها.
- ✓ نظم عبد العزيز الديريني قصيدته على مبدأ التقابلات معتمدًا على تقنية التَّضاد للكشف عن المعاني الخفية الكامنة داخلها؛ وذلك بإبراز الصراعات والتقابلات بين المشاهد المتناقضة في وصف النَّار وعذابها والجَّنة ونعيمها بغرض تقريبها لذهن المتلقي وإحداث التأثير في نفسيه، هذا ما أضفى حركية وحيوية للقصيدة.
- ✓ لعبت الثنائيات الضدية دوراً فعالاً في تجسد أبعاد مختلفة أعطت قيمة فنية للمنظومة ومنحها توازن إيقاعي جميل.
- ✓ التَّضاد تقنية فنية تهدف إلى تقوية وإظهار الدلالة الخفية وتحقيق الوحدة العضوية والموضوعية على حدٍ سواء.
- ✓ نظرية الحقول الدلالية نظرية لغوية لسانية لها دور فعال في دراسة المعنى.
- ✓ تهدف نظرية الحقول الدلالية إلى تصنيف الوحدات المعجمية وفق نظام محكم تحكمه علاقات دلالية.
- ✓ شكلت علاقات التَّضاد في هذه الدِّراسة حلقة وصل وقاسمًا مشتركاً بين نظرية الحقول الدَّلالية ونظرية الثنائيات الضدِّية نتج عنها تكاملاً وانسجاماً في بنية القصيدة وحققت امتزاجا بين نظريتين دلاليتين.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتب:

1- ابن العماد؛ شذرات الذهب ففي أخبار من ذهب؛ تح: محمود الأرناؤوط؛ ط1؛ مج7؛ دار ابن كثير؛ بيروت؛ 1991م.

2- تاج الدين السبكي؛ طبقات الشافعية الكبرى؛ تح: محمود الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو؛ ج8؛ دار إحياء الكتب العربية؛ القاهرة؛ دت.

3- جون كوين؛ اللغة العليا النظرية الشعرية؛ تر: أحمد درويش؛ المجلس الأعلى للثقافة؛ القاهرة؛ 1995م.

4- حسن ناهض، يوسف الخطيب: ذاكرة الأرض ذاكرة النار؛ ط1؛ اتحاد الكتاب العرب؛ دمشق؛ 2004.

5- الخطيب القزويني؛ الإيضاح في علوم البلاغة؛ تح: عبد الحميد هنداوي؛ ط2؛ مؤسسة المختار؛ القاهرة؛ 2004م.

6- دي سوسيرفرديناند؛ دروس في اللسانيات العامة؛ تر: صالح القرمادي وغيره؛ ط1؛ الدار العربية للكتاب؛ طرابلس؛ 1985م.

7- دي سوسيرفرديناند؛ علم اللغة العام؛ تر: يوئيل يوسف عزيز؛ ط3؛ دار آفاق العربية؛ بغداد؛ 1998م.

8- زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي؛ الكواكب الدرية في تراجم السّادة الصوفية؛ تح: محمد أديب الجادر؛ ج2؛ ط4؛ دار الصادر؛ بيروت؛ 1973م.

9- سالم علي بيدق؛ الحقول الدلالية ل(هل) في السياق القرآني؛ مجلة الجامعة الزاوية؛ العدد 12؛ 2010م.

10- سراج الدين ابن الملقن أبو حفص الأنصاري؛ طبقات الأولياء؛ تح: نور الدين شريبه؛ ط4؛ مكتبة الخانجي؛ مصر؛ 1994م.

11- سمر الدّيوب؛ الثنائيات الضدّية بحث في لمصطلح ودلالاته؛ ط1؛ المركز لإسلامي للدراسات الإستراتيجية؛ سوريا؛ 2017م.

12- شيرين إحسان شيرزاد؛ الأسلوب العالمي في العمارة بين المحافظة والتجديد؛ دار الشؤون الثقافية؛ بغداد؛ 1997م.

13- صالح قاسم حسين؛ الشخصية بين التنظير والقياس؛ ط1؛ مكتبة الجيل الجديد؛ صنعاء؛ 1997م.

14- صلاح الدين الصفدي؛ الوافي بالوفيات؛ تح: أيمن فؤاد؛ ط1؛ ج18؛ دار النشر: فرانز شتايزشيوتكارت؛ 1988م؛ ص468.

15- عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي؛ طبقات الشافعية؛ تح: كمال يوسف الحوت؛ ط1؛ج1؛ دار الكتب العلمية؛ 1987م؛ ص569.

16- عبد العزيز بن أحمد الديريني؛ قلادة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور؛ تحقيق: عبد الحكيم أنيس؛ ط1؛ دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري؛ حكومة دبي؛ الإمارات؛ 2011م.

17- عبد العزيز حمودة ؛ المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك؛ عالم المعرفة؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب؛ الكويت؛ 1998م.

18- عبد القادر حسين؛ فن البديع؛ ط1؛ دار الشروق؛ القاهرة؛ 1983م.

19- عبد القاهر الجرجاني؛ أسرار البلاغة في علم البيان؛ تح: محمد رشيد رضا؛ ط1؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ 1988م.

20- عبد الله ابن أحمد المطري المدني؛ ذيل طبقات الفقهاء الشافعية؛ تح: أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد؛ طبع منسوب للعبادي؛ دط؛ دار الثقافة الدينية؛ القاهرة؛ دت.

21- عبد الله الغذامي؛ الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية؛ ط4؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية؛ 1998م.

22- عبد المطلب؛ محمد؛ بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي؛ ط2؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ 1995م.

23- عبد الوهاب الشعراني؛ الطبقات الكبرى (لوائح الأنوار في طبقات الأخيار)؛ ج1؛ مطبعة العامرة الشرقية؛ مصر؛ 1315ه.

24- فضل صلاح؛ النظرية البنائية في النقد الأدبي؛ ط1؛ دار الشروق؛ القاهرة؛ 1998م.

25- كريم زكي حسام الدين؛ التحليل الدلالي وإجراءاته ومناهجه؛ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع؛ القاهرة؛ 2000م.

26- محمد الواسطي؛ ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين؛ دراسة بلاغية نقدية؛ ط1؛ دار نشر المعرفة؛ الرباط-المغرب؛ 2003م.

27- محمد بن سعد؛ الطبقات الكبرى؛ تح: علي محمد عمر؛ مكتبة الخانجي القاهرة؛ بغداد؛ 2002م.

28- محمد بن عبد القادر الرازي؛ مختار الصحاح؛ تح: محمود خاطر؛ ط1؛ ج1؛ المطبعة الكلية؛ مصر؛ 1329ه.

29- محمد علي الخولي؛ علم الدلالة(علم المعنى)؛ طبعة 2001؛ دار الفلاح للنشر والتوزيع؛ عمان؛ 2001م.

30- منقور عبد الجليل؛ علم الدلالة ومباحثه في التراث العربي؛ دط؛ ج1؛ اتحاد الكتّاب العرب؛ دمشق؛ 2001م.

31- نجم الدين ابن الأثير الحلبي؛ جوهر الكنز"تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة؛ دط؛ تح: محمد زغلول سلام؛ منشأة المعارف؛ الإسكندرية؛ 2009م.

32- وحيد بن عبد السلام بالي؛ وصف الجنة والنار من صحيح السنة والأخبار؛ دار الكتب العلمية؛ ط1، بيروت؛ 2002م.

المعاجم:

1-إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيره؛ المعجم الوسيط؛ تح: إبراهيم مدكور؛ ج1؛ ط3؛ مجمع اللغة العربية؛ القاهرة؛ 1985م.

2-إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وغيرهم؛ معجم الوسيط؛ ط5؛ مكتبة الشروق الدولية؛ القاهرة؛ 2011م.

3-أحمد مختار عمر؛ علم الدلالة؛ ط5؛ مكتبة لسان العرب؛ دمشق؛ 1998م.

4-احمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصرة؛ المجلد الأول؛ ط1؛ عالم الكتب؛ القاهرة؛ 2008م.

5-إسماعيل ابن حماد الجوهري؛ الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية؛ تح: أحمد عبد الغفور عطار؛ ج6؛ ط4؛ دار العلم للملايين؛ بيروت؛ 1987م.

6-جبران مسعود؛ الرائد؛ ط7؛ دار العلم للملايين؛ بيروت؛ 1992م.

7-جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ ج1؛ دط؛ دار الكتاب اللبناني؛ بيروت؛ 1982.

8- الشريف الجرجاني؛ معجم التعريفات؛ تح: محمد باسل عيون السّود؛ ط2؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ 2003م.

9- مجد الدين الفيروز آبادي؛ القاموس المحيط؛ تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة؛ ط8؛ مؤسسة الرسالة؛ بيروت؛ 2005م.

10- محمد بن أبي بكر الرازي؛ مختار الصحاح؛ مجلد1؛ مكتبة لبنان؛ بيروت؛ 1986م.

المقالات:

1- سمر الديّوب؛ الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم؛ منشورات وزارة الثقافة؛ الهيئة العامة السورية للكتاب؛ دمشق؛ 2009م.

2- محمود عمر وأسيل إبراهيم محمود منصور؛ الثنائيات المتناقضة في تصميم الفضاء الداخلي المعاصر؛ مجلة كلية التربية الأساسية؛ الجامعة المنتصرية؛ العدد85؛ المجلد20؛ العراق؛ 2014م.

الرسائل:

1- أحمد محمد ويس؛ ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي: بحث في المشاكلة والاختلاف؛ ط1؛ دار كنوز المعرفة؛ عمان؛ 2017م.

2- الحديث والمعاصر(الحداثة وما بعد الحداثة)؛ دار البداية؛ ط1؛ بغداد؛ 2010م.

3- قاسم الحاطب؛ جماليات الفن التشكيلي في عصر النهضة الأوروبية ومدارس الفن أحمد دمنهوري؛ رسالة في المنطق: إيضاح المبهم في معاني السلم؛ تح: عمر فاروق؛ ط1؛ مكتبة المعارف؛ بيروت؛ 2006م.

فهرس المحتويات

المحتوى	صفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: التعريف بالثنائية الضدية ونظرية الحقول الدلالية.	
المبحث الأول: الثنائيات الضدية	01
- أولا: مفهوم الضد لغة واصطلاحا	01
- ثانيا: مفهوم الثنائيات الضدية اصطلاحا	02
- ثالثا: الثنائيات الضدية في العلوم المختلفة	06
- رابعا: الثنائيات الضدية في الحقل النقدي	10
المبحث الثاني: التعريف بنظرية الحقول الدلالية	13
- أولا: مفهوم مصطلح الحقل لغة واصطلاحا	14
- ثانيا: نظرية الحقول الدلالية عند العرب	16
- ثالثا: نظرية الحقول الدلالية عند العرب	20
- رابعا: مبادئ نظرية الحقول الدلالية	24
الفصل الثاني: في تعالق الثنائيات الضدية بالحقول الدلالية في قصيدة الدر المنثور	
المبحث الأول: التعريف بالقصيدة وصاحبها	33
1- التعريف بالشاعر	33
2- التعريف بالقصيدة	35
المبحث الثاني: الثنائيات الضدية وأثرها في تشكل الحقول الدلالية في القصيدة	38
1. الثنائيات الضدية في القصيدة وتصنيفها	38
2. الحقول الدلالية في القصيدة	46
3. علاقة الثنائيات بالحقول المهيمنة في القصيدة	65

خاتمة	84
قائمة المصادر والمراجع	86
فهرس المحتويات	91